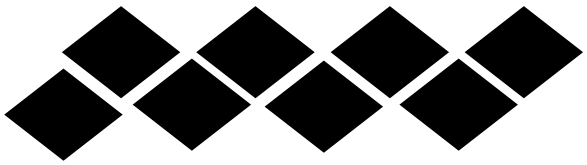

جدل الهوية والدين
في فلسفة ليفيناس

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

د. صابرين زغلول السيد

مدرس فلسفة الدين- كلية البنات جامعة عين شمس

جدل الهوية والدين في فلسفة ليفيناس

مقدمة :

في ظل العديد من الفلسفات الغربية المعاصرة التي عبثت بالذات الإنسانية وحولتها إلى مجرد ذات مستلبة ومهيمنة على العالم من خلال نظرتها نظرة اضطهادية إلى الآخر واعتبرته سجناً دائماً لسلب هوية الذات ، وفي ظل استمرارية الحاجة إلى وضع الآخر (الغير) في مكانة تضاهي مكانة الأنا (الذات) من أجل نشر السلام بين الفرد والمجتمع انبثقت فلسفة الفيلسوف الفرنسي الليتواني إيمانويل ليفيناس ١٩٠٦ – ١٩٩٥([1]) منددة لكل تيارات العنف التي تنادي بإقصاء الآخر ورفض الغيرية رفضاً مطلقاً فجاءت فلسفته وأصبحت المهمة الرئيسية لها ليس تأسيس نظرية للمعرفة أو نظرية سياسية وإنما فهم العلاقة مع الآخر باعتبارها أصل وأساس كل علاقة مع الوجود ويتجلى ذلك في القدرة على احترام غيرية الآخر وليس في محاولة اختزاله في هوية الشبيه ، ولذلك صاغ ليفيناس فلسفته بشكل مختلف كل الاختلاف عن مجمل الفلسفة الغربية عن طريق الاستعاضة بالأخلاق التي اعتبرها ليفيناس " الفلسفة الاولى"([2]) بديلاً عن الأنطولوجيا

([1]) إيمانويل ليفيناس" :Emmanuel levinas فيلسوف فرنسي معاصر ولد سنة ١٩٠٦ ب "كوفنو covnos بليتوانيا وسط عائلة يهودية، سافر إلى فرنسا لدراسة الفلسفة وقد حصل على درجة الدكتوراه في (نظرية الحدس في الفينومينولوجيا الهوسرلية سنة ١٩٣٠) وقد مكث في فرنسا وحصل على الجنسية الفرنسية ، وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية كان مؤهلا للتجنيد فانخرط في الخدمة العسكرية ، إلى أن وقع في الأسر عام ١٩٤٠ م ،كما قتل النازيون جميع أفراد أسرته الذين كانوا قد مكثوا في لتوانيا أثناء أسرهم في المانيا و وقد كانت لهذه الأحداث أهمية كبيرة على كتاباته الفلسفية والدينية والتي أهمها نظرية الحدس في ظاهريات هوسرل ،الكلية و اللانهائي ، اكتشاف الوجود مع هوسرل و هيدجر ، قواعد تلمودية، ،إمضاء في الحرية الصعبة،الزمان والآخر ،الأخلاق واللانهائي ، حوار مع ليفيناس ،الكلية و الصمت ، وغيرها العديد من الكتب . للمزيد عن سيرة ليفيناس انظر : جون ليشته، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، ترجمة فاتن البستاني، المنظمة العربية للترجمة،بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٨، ص٢٤١، ٢٤٢.

([2]) Emmanuel Levinas, Totality and Infinity: An Essay on Infinity , trans. Alphonso Lingis Pittsburgh: Duquesne University Press, 1969 ,P. 281.

التقليدية التي اعتاد عليها معظم الفلاسفة الغربيين ، ومن خلال استقراء إيمانويل ليفيناس لتاريخ الفلسفة ، وضع مفهوماً جديداً للهوّية على أساس مفهوم المغايرة والاختلاف التي جعلهما اللبنة الأساسية لفلسفته حيث رفض المفاهيم الفلسفية القائمة على المماثلة والمشابهة والتي فقد فيهما الإنسان إنسانيته ، وضاعت هويته الحقيقية في غمار تلك المشابهة والمماثلة ، ومن هنا وضع ليفيناس مشروعه الفلسفي على أساس إيتيقي أنطولوجي مبني على الحوار مع الآخر ، هذا الآخر هو الاختلاف و المغايرة ، وبصفته مفكر يهودي فقد وقف الباحثون في مفترق الطرق على تصنيفه كونه فيلسوفاً أو مفكراً دينياً بحيث أصبح التشابك بين الأخلاق والدين في فكر ليفيناس عميق ومعقد لدرجه انه أصبح مسألة خلافيه بالنسبة لبعض الباحثين ولذلك طرحت فكرة هذا البحث من خلال عرض البُعد الديني لمفهوم الغيرية في علاقة جدلية بين الهوية والدين ، والتي حاولت من خلالها طرح العمق و الأبعاد الخفية في فلسفة ليفيناس تلك الأبعاد التي أراها تتسم بطابعها الإنساني في مقاربات منهجية بنزوع ديني متجذر في عمق الطرح الليفيناسي .

ومن خلال هذا البحث نتواجه وجهاً لوجه مع أسئلة ليفيناس التي تضع أمامنا العديد من الإشكاليات أهمها :

أولاً : كيف يمكن للذات التي هي مصدر للأنانية ، أن تدخل في علاقة مع الآخر دون التخلي عن أنانيتها على الفور ؟ وكيف يمكن للآخر أن يدخل في علاقة مع الأنا دون التعرض للخطر ؟

ثانياً : ما هو الجوهر الديني الذي يجمع بين الذات والآخر لتتخلى الذات عن فرديتها من أجل الأخر ؟

ثالثاً : كيف تستطيع الذات المُدرِكة قبول الآخر كموضوع مدرَك دون أن يذوب وينصهر داخلها وكيف يستطيع الموجود الحفاظ على هويته دون الذوبان داخل الوجود الكلي ؟

رابعاً :هل تكون علاقة الأنا بالآخرعلاقة أصلية بحيث تكون شرط للإنكشاف الإلهي ؟

خامساً : ما النتائج التي تترتب على احترام غيرية الآخر على الفرد والمجتمع؟

يبدو لي أن هذا التشابك الذي دخل في غماره ليفيناس أكثر تعقيداً من مفهوم التماثل الأخلاقي الأحادي الجانب ، وهو ما سأحاول توضيحه في هذا البحث .

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة مباحث :

أولاً المبحث الأول :جدل الأنا والأخر وينقسم إلى مطلبين :

المطلب الأول :الهوية والاختلاف

المطلب الثاني: دلالة الوجه كمفهوم للاختلاف

ثانياً المبحث الثاني :جدل الهوية والإتيقا وينقسم إلى مطلبين

المطلب الأول: العلاقة بين الأخلاق والهوية

المطلب الثاني: إتيقا المسؤلية

ثالثاً المبحث : الثالث :البعد الديني لمفهوم الهوية وينقسم إلى ثلاثة مطالب

المطلب الأول : مفهوم الدين

المطلب الثاني : مفهوم اللانهائي واللاهوت الأخلاقي

المطلب الثالث : فلسفة الحوار كأثر لتحقيق الهوية

المبحث الأول: جدل الأنا والآخر

المطلب الأول : الهوية والاختلاف

جميعنا يعلم أن مصطلح الهُوية مصطلح مستحدث في الثقافة العربية وقد استحدث من خلال العودة إلى أحد الضمائر العربية وهو ضمير هو فالهو أعطتنا الهُوية بضم الهاء وليس فتحها، والمقصود بهوية الشيء هو وجوده الذي له أو ما يجعله دائم رغم كل التغيرات ، هو نفسه أو هو هو، لذلك كان تعريف الهُوية لغوياً " أن يكون الشئ هوهو وليس غيره وهو قائم على التطابق أو الإتساق في المنطق " (٣) ويتداخل مفهوم الهُوية مع مفهوم الماهية لأن الماهية " أن يكون الشئ (ما هو) بزيادة حرف الصلة ما على الضمير المنفصل هو والمعنى واحد " (٤) و لذلك حُدد المصطلح الأجنبي لمصطلحي الهوية والماهية ليظهر الاختلاف بينهما فكل لفظ منفصل عن الآخر، ذلك أن مصطلح " ماهية Essence من اللاتينية Esse وهو فعل الكينونة ولفظ هوية Identite من الضمير Id أي هو " (٥) وقد اعتاد الفلاسفة على إطلاق مصطلح الهوية على المستوى الأنطولوجي(*) أي المستوى الذي ينظر إلى الوجود ذاته بصرف النظر عن الموجود الذي ينظر إليه ويؤوله ، ونشير لهذه المسألة من خلال الطرح الذي عرضه مارتن هيدجر (١٨٨٩ –١٩٧٦) حول سؤال الماهية حيث استبدل سؤال ما هو الإنسان ؟ بسؤال أكثر جذرية من هو الإنسان؟ فأراد هيدجر أن يستغني " نهائياً عن كلمة إنسان لتختفي نهائياً من نصوصه اللاحقة وتظهر بدلها مصطلح الدازايّن Dasein الفاقد للماهية ،وهو يعني أن علاقتنا " بأنفسنا في كل مرة تأخذ شكل الإنتماء إلى أنفسنا أو شكل الضياع عن أنفسنا وهو ما سيقود الى الأصالة أو عدم الأصالة في وجودنا " (٦) وبهذا المعنى يؤكد هيدجر على أن ماهية الكائن البشري لا تكون إلا من خلال نزوعه لما يريد أن يكون فهو من

---

(٣) حسن حنفي : الهوية ،المجلس الأعلى للثقافة ،٢٠١٢، ص١٠

(٤) المرجع السابق: ص ١٠

(٥) المرجع السابق : ص١٤

(*) هناك مستويات عديدة لمفهوم الهوية منها الاجتماعي والثقافي والديني والسياسي

(٦) مارتن هيدجر : الكينونة والزمان ، ترجمة فتحي المسكيني ، دار الكتب الجديدة ، الطبعة الأولى ، ليبيا ،٢٠١٢، ص هامش ١١٣

يصنع ذاته بذاته بتجاوزه لواقعه وانفتاحه على العالم أي أن هويته من خلال ذاته ومن ثم فإن ما يقال عن الوجود ليس الوجود عينه وإنما هو ما قرأته الذات الإنسانية ورأته أو منحته للوجود من معان وتأويلات وتصورات ، فالذات الإنسانية إذن هي هوية الإنسان أيضا وهي أساس كل هوية أخرى لأنه إذا تصورنا غياب هوية الإنسان غاب الوجود عنا وغاب عنا كل معنى لأن الذات هي التي تعطي المعنى وتوضحه وهو ما يؤكد على جوهرية الهوية الإنسانية ومركزيتها في الوجود ، لذا فمصطلح الذات كما طرحه هيدجر يعني أيضاً الهوية أو الهوية الإنسانية أي وجود الإنسان وحقيقته بوصفه أنا ناظرة وقارئة للوجود تمنح للوجود معناه ، وهذا ما طرحه من قبل ديكارت من خلال الأنا الديكارتية أو الكوجيتو الديكارتي ، وقد رفض ليفيناس ذلك الطرح لمفهوم الهوية لأنه يقتصرعلى علاقة الذات الإنسانية بالوجود فقط بصرف النظر عن أي علاقات أخرى ولذلك رفض ما ذهبت إليه الميتافيزيقا التقليدية في تصورها للهوية من حيث " أنها لا تُسنِد للهوية الإنسانية في نظرتها للوجود وتعتبر تصورها للوجود هو الوجود نفسه وليس الوجود كما تصورته الذات الإنسانية وأولته"([٧]) ولذلك يدخل ليفيناس في بعُد أخر لمسألة الهوية وهو علاقة الأنا بالآخر أو الغير ، الأنا بوصفها معبرة عن الهوية والآخر بوصفه مقابلاً للهوية ومغايراً لها ، وقد ارتبط مفهوم الآخر أو الغير في الفلسفة بشكل سلبي قائم على إقصاء للآخر فنجد أرسطو (٣٨٤ -٣٢٢ ق.م) الذي تأثر بالمفاهيم العنصرية للتفرقة بين اليونانين وغيرهم والتي تدعي " أن الآلهة قدخلقت اليونانيين من مادة نورانية خاصة، بينما خلقت غيرهم من مواد خسيسة، لذلك فقد اعتبر بأن غير اليوناني يعاني القصور العقلي أو العضلي، على خلاف اليوناني الذي يتمتع بالكمال في الجانبين " ([٨]) وقد استخدم " أهم عناصر الهوية اليونانية ألا وهي اللغة ، فأطلق لقب " بربري على كل من لا يتكلم اللغة اليونانية ويمكن استعباده إذا وقع أسيراً"([٩]) وفي الفلسفة الحديثة كان النموذج الهيجلي الذي لم يبعد كثيراً عن نموذج أرسطو ومفهومه للأخر بشكل عُنصري كبير فجاءت جدلية

([7]) Emmanuel Levinas, Collected Philosophical Papers,Trans.Alphonso Lingis Pittsburgh: Duquesne University Press,, 1998, p. 96

([٨]) أرسطو: السياسة، ترجمة أحمد لطفي السيد، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٢٥٥.(بتصرف)

([٩]) فيلهو هارلي وآخرون: صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، تعريب: الطاهر لبيب ، مركز دراسات الوحدة العربية،ص ٥٢

هيجل (١٧٧٠-١٨٣١) المشهورة " العبد والسيد " ([١٠]) إذ يقول: " الوعيان بالذات وبالآخر متضادان، الوعي بالذات يتضاد قبل كل شيء مع نفسه ، إنها دراما اللامساواة بين العبد والسيد، والملاحظ بالنسبة إليه أن هذا الصراع من أجل الحياة والموت "([١١]) إن جدلية العبد والسيد الهيجيلية تؤكد على ضرورة الصراع كحتمية تاريخية للعلاقة بين الأنا والآخر والتي من شأنها تجعل الصراع هو نمط للعلاقة التي تحكم الأنا بالآخر،والتي قد تؤدي في النهاية إلى موت أحدهما ، وفي الحقبة المعاصرة كان الاقصاء والاحتقار التام للآخر متمثل في اضطهاد النازيين لليهود حيث نظروا إليهم كأنهم أشياء لا قيمة لها وليس كذوات مما نتج عنه الهولوكوست تلك المحرقة المعروفة التي أبيد فيها أكثر من ستة ملايين يهودي وقد عبر ليفيناس بلغة الذات المقهورة المضطهدة عن ذلك في كتابه الحرية الصعبه فيقول : " أود أن أذكركم بما كانت عليه السنوات من ١٩٣٣ إلى ١٩٤٥ وكانت مثلها بالنسبة لليهود في أوروبا. حيث بين الملايين من البشر الذين واجهوا البؤس والموت ، عانى اليهود وحدهم من الإهمال التام " ([١٢]) هذا الإهمال الذى عانى منه اليهود بالإضافة لازدراء بعض الفلاسفة للدور الذي يلعبه الآخر في حياة الأنا ، وعلى رأسهم الفيلسوف الفرنسي الوجودي جان بول سارتر (١٩٠٥- ١٩٨٠) الذي أطلق صيحته الشهيرة (الآخرون هم الجحيم)، وفي ظل تلك الفلسفات والأحداث التاريخية التي تعمل على إقصاء الآخر جاءت فلسفة ليفيناس بمفهوم جديد لقبول الأخر من خلال مفهوم الاختلاف والغيرية ليأخذ مساراً واجه به كل هذه الفلسفات وعارضها ليحتل الأخر أو الغير المكانة الأساسية في فلسفته مختلفاً عن الميتافيزيقا التقليدية ومن هنا " فالهوية بدون الآخر حسب ليفيناس تناقض فعلي "([١٣]) حيث تأسست الهوية عند ليفيناس منذ البداية

([١٠]) ألكسندر كوجاييف: جدلية السيد والعبد من " المدخل إلى قراءة هيغل "، ترجمة وفاء شعبان، مجلة الفكر العربي المعاصر،عدد ١١٤-١١٥، مركز الإنماء القومي، الكويت، ص ٥٢.

([١١]) المرجع السابق :ص ٥٤

([12]) Emmanuel Levinas : *Difficult Freedom: Essays on Judaism.* , Translated by Sean Hand, Johns Hopkins Jewish Studies. Baltimore, Johns Hopkins University Press, 1990, p.11

([١٣]) إدريس كثير ، عز الدين الخطابي : مدخل إلى فلسفة ليفيناس (من الفينومينولوجيا) ، منشورات إختلاف ، الطبيعة الأولى ،٢٠٠٣ ، ص٤٠

على مفهوم الاختلاف Differences و الاختلاف ضد الإتفاق والفرق بينه وبين الخِلاف، " أن الاختلاف يُستعمل في القول المبني على دليل، على حين انَ الخِلاف لا يستعمل اٍلا فيما لا دليل عليه، والاختلاف عند بعض المتكلمين هو كون الموجودين غير المتماثلين وغير متضادين " ([١٤])

وفي معجم المفاهيم الفلسفية نجد انَ الاختلاف هو الذي يوجد و يتحدد داخل كل كائن باعتباره الخاصية التي تحدده والتي تجعل منه كيانا فريدا متميزاً عن ماعداه،اٍذ انَ الاختلاف بين طرفين ، يندرج داخل كل واحد منها كهوية سلبية بالقياس اٍلى ذاتها،وذلك لأنه اختلاف الذات بالنسبة لذاتها. "([١٥]) ومن هنا يتحدد مفهوم الإختلاف في الفلسفة الحديثة بوصفه "الخاصية التي تُمّيز مفهوماً عن معنى آخر ، وشيئاً عن شيء آخر الخاص ب.. انَو المُمّيز ل.. "([١٦])

وقد أكد ليفيناس من خلال كتبه تفرد الآخر بوجوده المستقل وليس كإنصهار داخل الأنا فكما تتمتع الأنا بوجودها المتفرد كذلك فالآخر له نفس المنزلة من الوجود والكيان المتفرد ولذلك يصف ليفيناس العلاقة بالآخر بأنها لحظات ولادة للأنا من جديد من خلال الأخر حيث تموت الأنا الأولى وتولد أنا جديدة ، ولذلك فالغيرية عند ليفيناس مؤسسة على الاختلاف بقوله " الآخر هو آخر وليس من خلالي ؛ تماما كما الأنا المتفرد و ليس من خلال الآخر، فلابد من التسليم بالآخر بأي حال من الأحوال كآخر ، وبمشاركتي في وجود مشترك " ([١٧])

([١٤]) جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، الحزء الثاني ، دار الكتب اللبناني ، ممتبة المدرسة ، بيروت ، لبنان ،١٩٧٨،ص ٥٣١

([١٥]) اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية ،ترجمة خليل احمد خليل،المجلد الأول، ط٢ ،منشو ارت عويدات، بيروت، ،٢٠٠١، ص٢٨٢-٢٨٣

([١٦]) سالم يقوت: مفهوم الإختلاف، مجلة مدا ارت فلسفية ، العدد٣ ، فبراير ٢٠٠٠ ، ص٦٥

([17]) Emmanuel Levinas, Time anti the Other, translated by Richard A. Cohen, pittsburgh: Duquesne University Press, 1987, p. 75.

لذا كانت العلاقة مع الآخر " هي التي تشكل طابع حياتنا الإجتماعية، فتظهر الآخرية كعلاقة غيرمتقابلة، أي، تتباين عن التزامن ، فالآ خر الإنساني بما هو آخر إنساني ليس أنا أخرى فحسب ، هو ما لا يمكن أن أكونه أنا "([١٨])

ومن هنا يؤكد ليفيناس من خلال جميع كتبه بأن "الإنسان نفسه لا يبتلع الآخر ولا تمتص الذات الآخر ، ولا تخوض في حرب معه حتى الموت " ([١٩]) و هذا الاستيعاب المتبادل ، يدحض ماذهب إليه ميكا فيللي ، و هوبز ،و هيجل ، وسارتر في ذوبان الآخر في غمار الأنانية المنبثقة من الذات على نقيض ما ذهب إليه ليفيناس بأن الهوية هي هوية الاختلاف بين الأنا والأخر بحيث لا ينصهر أحداهما في الآخر ، لذا يأخذ ليفيناس على الميتافيزيقا التقليدية تأسيسها علاقة الأنا بالآخر من خلال العقل والتفكير اللذان هما أساس الأنطولوجيا التي لا تفصل بين الوجود والموجود كما يتضح عند هيدجر الذي جعل من الأنطولوجيا "إدارك الموجود في استقلاليته عن الوعي الذي يُدركه في حين أن الغير ليس مجرد موضوع معرفة عند ليفيناس بل هو دخول في العلاقه معه" ([٢٠]) لذلك تتجلى النزعة الإنسانية عند ليفيناس في دعوته إلى التعامل مع الآخر كذات وليس كموضوع ، وهي " المعاملة التي أطلق عليها إسم البينذاتية مؤكداً في أكثر من موقف على أننا في تعاملنا مع الآخرين إنما نحن نتعامل مع الأرواح لا مع أشياء" ([٢١]) ، لذا وحتى تصبح علاقتنا بالآخر علاقة أخلاقية إنسانية وجب الاقتراب من الآخر والاعتراف بغيريته واحترامها والتحاور معه والشعور بالمسؤلية ومشاركته بدلاً من إقصائه ، وهي كلها شروط ضرورية لبناء علاقات إنسانية مع الأخرين،لذلك فبالرغم أن ليفيناس يعتبر هيدجر أحد المصادر

([١٨]) إيما نويل ليفيناس :الزمان والإخر، ترجمة جلال بدلة ،معابر للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، سوريا ، ٢٠١٤ ص ٩٣

([19]) Emmanuel Levinas, Totality and Infinity p. 77

([٢٠])مصطفى كمال فرحات: ظروف الكينونة في ما بين ليفيناس وهيدجر أو حرب الإتيقا ضد الأنطولوجيا ، حوليات الفينومينولوجيا ، مجلة البحث الفينومينولوجية التأويلية بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية،تونس المجلد ١ منشو ارت دار المعلمين العليا ودار السحر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦ ،ص١٤

([٢١]) سالم يقوت: مفهوم الإختلاف، مجلة مدا ارت ، ص٦٨

الرئسية في فلسفته ([٢٢]) إلا أنه رفض ما ذهب إليه هيدجرمن إعطاء الأولوية للوجود على حساب الموجودات وهو ما يعني "أن الوجود أكثر جوهرية من الموجودات بل يعني أيضاً أن الموجودات لا تتحدد بالآخر من خلال فكرة الوجود المجردة اللاشخصية " ([٢٣]) ،وهنا يوجه ليفيناس نقده الشديد لهيدجر لاختزاله الموجود في حدود الوجود يقول " لا أعتقد أن هيدجر يعترف بالموجود دون الوجود وذلك يبدو سخيفاً له " ([٢٤])، لذا يدعو ليفيناس إلى اكتشاف علاقة أخرى مع الموجود ، بعيداً عن الكلية التي تتأسس على الميتافيزيقا التقليدية ، فلا يمكن الحديث عن الغيرية في ظل منطق لاشخصي ، وفي ظل وجود لا يتكلم ، ووجود بعيداً عن المظاهر والظواهر ، ولتحقيق ذلك انطلق ليفيناس من خلال المنهج الظاهرياتي (الفينومينولوجي) حيث نشر ليفيناس أطروحته للدكتوراه المعنونة ، نظرية الحدس في الظواهر في ١٩٣٠، وكان أول كتاب مقدم لفكر هوسرل (١٨٥٩-١٩٣٨) في الفرنسية. من خلال تفضيله لموضوع الحدس ، وقد أكد من خلال المنهج الفينومينولوجي " أن التجربة الإنسانية ليست ماهية تحقق جلاءها بنفسها وليست كوجيتو خالصاً فهي نتيجة صوب شيء في العالم يشغلها " ([٢٥]) وعليه يثور ليفيناس على فلسفة الأنا سواء عند هوسرل أوعند ديكارت تلك الأنا التي تحمل معنى العالم بداخلها ولا تلتفت إلى الآخر ، إنها نتيجة تأمل ترنسندنتالي حيث يصبح الحديث مع الآخر حديث أحادي ينطلق من الأنا ويعود عليها وبالتالي يمتص الآخر داخل الأنا**

([٢٢])** كان ليفيناس تلميذاً من تلاميذ مارتن هيدجروكان حاضراً فيما يعرف بمناظرات داقوس الشهيرة ١٩٢٩ حيث جرى لقاء بين هيدجر وأرنست كاسيرر ، حيث أيد ليفيناس هيدجر ضد كاسير واختار الوجودية وواصل معرفته لفلسفة هيدجر فمثلت منعطفاً حاسماً في فلسفة ليفيناس رغم ملاحظته إن فلسفة معلمه تفتقر إلى مضمون أخلاقي ، للمزيد :جويل هنسل ، ليفيناس من الوجود إلى الغير ، ترجمةعلى بورملحم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان ، ٢٠٠٠ ص٣٨ (بتصرف)

([٢٣]) عبد الوهاب المسيري : الموسوعة اليهودية ، المجلد الخامس ،الجزء الثالث ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، القاهرة ،١٩٩٩ ، ص٤١١

([24]) Emmanuel Levinas ,Time anti the Other, p. 45.

([٢٥]) إدريس كثير:عز الدين الخطابي، مدخل إلى فلسفة ليفيناس(من الفينومينولوجيا إلى الإتيقا)،ص٧

فيتلاشى وجوده ليختزل داخل الأنا ، إن ما يريده ليفيناس أن نحافظ على المسافة بين الأنا والأخر بحيث ينبثق من خلال هذه المسافة الاختلاف الذي يحافظ على كينونة وهوية الآخر، ولذلك أعطى للآخر بُعداً من أبعاد التجربة الإنسانية المعاشة وبشكل مباشر مع الآخر ، بُعداً يقوم على عاطفة الأنا تجاه الآخر ، فمن وجهة نظر ليفيناس تتخذ العلاقة مع الآخر بُعدا عاطفياً ، وفي هذا يقول ليفيناس: "الآخر هو معروف من خلال ما يوجد في نفسي من التعاطف ،... إن قلب العلاقة مع الآخر هي التي تُميز حياتنا الاجتماعية " (٢٦) وعلى الرغم من وجود هذا التعاطف بين الأنا والآخرالذي يتحدث عنه ليفيناس إلا أننا يجب أن لا نعتبر أن علاقة الأنا بالآخر متبادلة فإذا كان من التزاماتي التعاطف مع الآخر فيجب أن لا أطلب منه مبادلتي بنفس العاطفة ،حيث يرى ليفيناس أن " صميم العلاقة مع الآخرهي التي تميز حياتنا الاجتماعية ، ولكن يبدو أنها علاقة غير متبادله، وهذا ، قمة التناقض ، ولايرجع ذلك إلى عوامل فسيولوجية أونفسية بل بسبب غيرية الآخر المختلفة عن الأنا"(٢٧) وعلى الرغم من حرص ليفيناس على فصل أعماله الفلسفية عن أعماله اليهودية وبالرغم من تكراره المستمر لهذا الفصل وتصريحه أنه " أخذ أجازة من الله" (٢٨) إلا أنه يطالعنا خلال كتاباته بتأثير ديانته اليهودية والأحداث السياسية والدينية التي عاشها ليفيناس في تشكيل مفهومه للهوية ، وفلسفته على وجه العموم ولذلك تشكل ذكرى المحرقة الصورة الأساسية عند ليفيناس للظلم و معاناة الآخر وإقصائه بعيداً عن الذات والمجتمع لذلك ونظراً لخلفية ليفيناس الدينية كمفكر يهودي فإنه ، يعطي الاختلاف بُعداً دينيا من خلال مصطلح الجار الذي يجد كل الحب والترحاب من جاره فيقول " الآخر هو الجار، الذي ليس بالضرورة القريب ، ولكن الذي يمكن أن يكون بهذا المعني، إذا كنت للآخر ، فأنت من أجل الجار" (٢٩) ويذهب ليفيناس إلى أبعد من ذلك بتقديس مفهوم الجار والذي هو رمز للآخر بحيث أصبحت طبيعة علاقة الانسان بالله عنده لا معني لها ما لم ينظر إليها منذ البداية على أنها ذهاب نحو الشخص الآخر ويظهر ذلك من خلال

---

(26) Levinas, Time anti the Other, p. 8
(27) Ibid , p 83.
(28)Levinas and the Philosophy of Religion
http://onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1111/j.1747-9991.2010.00342.x/full
(29)Levinas Concept of Religion and its Relationto Judaism
http://ghansel.free.fr/smithjeru.html

عباراته التي صاغها في كتابه الله كما يتبادر إلى الذهن فبدلاً من "القول انا أؤمن بالله"([٣٠]) ويستبدلها بعبارة " أنا هنا ،من أجل الجار الذي يجب أن أعطيه أكثر"([٣١]) هذا العطاء التي تعطيه الذات للجار هو حق مشروع كما نصت عليه النصوص المقدسة ، فمن واجب الذات نحو الآخر أو الجار ليس فقط الدخول معه في علاقة وحوار بل أيضاً الترحاب والحفاوة به من خلال واجبات الضيافة ، التي يراها ليفيناس علامة من علامات قبول الآخر ولذلك فمصطلح الضيافة هو أحد المصطلحات الهامة والضرورية في فلسفة ليفيناس كي نفهم مقصده للغيرية ، فيقول " عندما أتشارك مع شخص آخر من خلال الحوار، فلا بد أن أتصرف في آن واحد على أنه حوار بين مضيفاً وضيفاً"([٣٢]) فالمضيف هو الذات والضيف هوالآخر، ويبدو هنا تأثر ليفيناس بفلسفة الفيلسوف الوجودي سورين كيركجور في مفهومه للجار حيث دعا كيركجور إلى الحب للجار، حباً أعمى ونحن مغلقين العينين فيقول " المرء يري الجار فقط بعينين مغلقتين ، أو بواسطة البحث بعيداً عن أوجه التنافر" ([٣٣]) على أن مقصد كيركجور بالنسبة لمفهوم الجار اتخذ بُعداً إيمانياً خالصاً من أجل علاقة تتجاوز فيها الذات على أنانيتها كوثبة تعلو فيها على نفسها من أجل اتباع أوامر الله الذي يوصي بحب الجار والتعاطف معه ، في حين كان مقصد ليفيناس هو أبعد من ذلك حيث أعطى الجار معناً دينياً سياساً متمثلاً في الشعب اليهودي فيقول "عندما تدافع عن الشعب اليهودي ، فإنك تدافع عن جارك "([٣٤])

ومن هنا اصطبغ مفهوم الهوية عند ليفيناس بصبغة سياسية دينية ، وبشكل مجمل فإن تأسيس الهوية عند ليفيناس من خلال اختلاف الذات عن الأخر هو خروج للأنا من إنغلاقها على نفسها وإنفتاحها على الأخر وما يُقّرب الذات من الآخرليس ما يجمعها به ، بل ما يجعلها تتحمله في غيريته، وما يجعل الآخر يتحمل الذات، ولا يكتمل بحث ليفيناس عن الهوية الا بإرجاعها في نهاية الأمر إلى الآخر، والطريق إلى ذلك فيما يرى ليفيناس هو الوجه الذي هو الدلالة الأساسية عنده لمفهوم الاختلاف

([30]) Emmanuel Levinas, Of God Who Comes to Mind, translated by Bettina Bergo ,Stanford, CA, Stanford University Press, 2005, p.137

([31]) Ibid ,p. 137

([32]) Ibid ,p.138

([33]) Ibid ,p.138

([34])Emmanuel Levinas, Totality and Infiniy, p 292

المطلب الثاني: دلالة الوجه كمفهوم للإختلاف

الوجه هو التعبير عن التفرد وعن جوهر الآخر الإنساني الفردي، لذلك يضع ليفيناس الوجه الأصيل ضد الواجهة الزائفة ([٣٥])، فالآخر الذي يُعرض اٍمام الأنا يُعرض فقط كوجه اٍنساني، لذلك كان الوجه هو أساس علاقة الغيرية بين الأنا والأخرفي فلسفة ليفيناس ، وإذا كانت الهوية عند ليفيناس تستمد وجودها من خلال الأخر ، فإن اللقاء بالآخر لا يتم إلا بواسطة الوجه ،حيث يتبدى الآخر بشكل خاص من خلال وجهه، وليس الوجه بما يظهر منه من ملامح بيولوجيه لوجود الأنف و لون العينين و شكل الجبين والآذان والفم الخ، ولكن من خلال التعابير التي تنبثق عبر جلد الوجه نفسه فكما يقول ليفيناس إن "جلد الوجه هو الذي يعبر عن البُعد الأكثر عُرياً ، والأكثر حرماناً " ([٣٦]) ليكشف لنا عن ما يحاول الآخر إخفائه عن الأنا ومن هنا يصبح " الوجه المكشوف ، مهدد بالخطر "([٣٧]) ويتحدث ليفيناس عن هشاشة الوجه وعريه متأثراً بالمنهج الوصفي لفينومينولوجيا هوسرل فيقول " الوجه يعبر عن نفسه و يفرض نفسه ، ولكن يفعل ذلك بالبالضبط عن طريق مناشدته لي من خلال مظاهر الفقر والعري والجوع دون أن أكون قادرا على أن أكون أصم لهذا النداء. فالوجه يقدم نفسه ، ويطالب العدالة "([٣٨])، إن الوجه يتميز بالقرب والمسافة في نفس الوقت ، فكثيرا منا يتقابل مع الأخر ويقول له وجهك مألوف و ربما لا نتذكر أسماء بعض الناس الذين قابلناهم في حياتنا لكننا لا نستطيع أن ننسى وجوههم بما لها من تعابير وقسمات، لذلك يجعل ليفيناس من الوجه الركيزة الأساسية في تحديد الهوية حيث يرى" أن الوجه هو موقع إظهار التعبيرات والعواطف بل إظهار الروح ذاتها " ([٣٩]) وهذا لما للوجه من قسمات يعتبرها ليفيناس بمثابة اللغة التي ينشأ من خلالها جسر العلاقة بين الذات والأخر، ولذلك يصور لنا ليفيناس علاقة الأنا بالآخر

([٣٥]) عبد الوهاب المسيري : الموسوعة اليهودية ، المجلد الخامس ، ص٤١٢

([36]) Emmanuel Levinas, Ethics and Infinity , Conversations with Philippe Nemo, hereafter EaI, trans. Richard A. Cohen ,Pittsburgh: Duquesne University Press, ١٩٨٨,p.86

([37]) Ibid, p.86

([38]) Emmanuel Levinas, Totality and Infinity, p.294

([39]) Ibid, p. 79

بصوره أشبه بالصور التمثيلة الحية لما يجب أن تكون عليه هذه العلاقة فيصور لنا أن الآخر يدعوني من خلال "الكلام و يدعوني من خلال السؤال ، إنه يواجهني ويضعني في السؤال ويجبرني على الخطاب " (٤٠) وبناءعليه كما يرى ليفيناس تحدث علاقة في الكلام ، حيث يتحدث الآخر لي وأنا أرد عليه وعندها فقط يظهر الوجه ، هذا الوجه ليس بصفاته الفسيولوجية من ملامح، كما سبق وأشرنا ، ولكن وجود الآخريتضح من خلال الكلمات التي يتحدث بها، وبالتالي تهرب الأنا من عالم غير شخصي وأبدي و من وجود غيرمتمايز، وهنا كما يصف ليفيناس تحدث ولادة الآنا الفردية كقوة لوضع هويتها، على أن هذه الأنا الجديدة تعطي حريتها للآخر " بحيث تشكل هويه الشخص في تأكيده على حريه الآخر علي نفسه"(٤١) ويرى ليفيناس أن تضحية الشخص بحريته هي المؤشر في الإستجابة نحو الآخر لذلك كانت حريه الذات ليست هي القيمة العليا أو الأوليه بل " إن الطابع المتغاير لردنا علي الإنسان الآخر ، أو على الله باعتباره الآخر ، يسبق الاستقلال الذاتي لحريتنا الذاتية"(٤٢) لذلك فعندما أمتثل أمام الوجه ووفقا لما تتطلبه إشارات وجه الأخر ، كما يقول ليفيناس " فأنا مطالب دائماً بفعل أكثرمما افعله لنفسي"(٤٣) ذلك أن الذات من خلال الوجه تستطيع معرفة ماذا يريد الأخر ويستطرد ليفيناس في قدرة الوجه على التعبير ورفض الآخر لأي قمع أو سيطرة ويصف ذلك بقوله " إن الوجه يقاوم السيطرة و الاستحواذ ، يقاوم قواي" (٤٤) كذلك من خلال الوجه نستطيع معرفة رفض الآخر لأي اختزال داخل الذات بل العكس يؤكد ليفيناس أنه من خلال الوجه تستطيع الأنا فتح حوار مع الآخر ذلك أن الآخر كما يقول ليفيناس بأن " يتكلم معي وبالتالي يدعوني إلى علاقه" (٤٥) وهنا يحاول ليفيناس توضيح أن الوجه يعطينا دلالات من شأنها ان تفتح بُعداً جديداً لمعنى الوجود أهمها تلك الدلالة التي تدعوني دائما لوجود علاقة بين الذات والآخر، لذا كانت "دلالة

---

(40)Ibid, p.207

(41) Richard Kearney , Emmanuel Levinas, Ethics of the Infinite in Debates in Continental Philosophy, Conversations with Contemporary Thinkers, New York: Fordham University Press, 2004 ,p.63

(42) Ibid ,P.67.

(43) Emmanuel Levinas , *Difficult Freedom: Essays on Judaism*, p294

(44)Emmanuel Levinas, Totality and Infinity, p.197

(44) Emmanuel Levina , Ethics and Infinit,p.86.

الوجه هي بمثابة يقظة أمام الإنسان الآخر في هويته غير المميزة والتبادل معه بشكل غير مختزل في التجربة " ([٤٦]) على نحو ما ذهبت إليه الأنطولوجيا ، لذا فمن المتعثر للذات أن تتجاهل " عالم ذي مغزى قُدم اليها من خلال وجه الآخر" ([٤٧]) ولا بد للذات من خلال تجاوزها للوجود أن تتقبل ذلك الآخر الذي يعرض نفسه من خلال الوجه الذي يطالب الأنا باستمرار لوجود تلك العلاقة ويأتي هذا التجاوز عندما يستطيع هذا الآخر " أن يقدم نفسه كشخص غريب دون اعتراضي في أن أجعله عقبه أو عدو لي" ([٤٨]) ومن أجل ذلك فلابد من الإستجابة للأخر من خلال وجهه الذي يدعوني دائماً إلى فتح الخطاب ، ذلك أن الوجه عند ليفيناس هو دائما دعوة من أجل فتح الخطاب ، بل" هو بالفعل الخطاب ، حيث يأتي ليظهر نفسه ، وفقا لتعبير أفلاطون ، لمساعدته الخاصة ، انه في كل لحظه يستدعي حضوري"([٤٩]) إن الخطاب المفتوح بين الأنا والأخر هو بمثابة الكلمة الأولى التي صدرت مع اللحظة الأولى للوجود وهنا تظهر الأبعاد الدينية للهوية عند ليفيناس ، فمن خلال تأثر ليفيناس بديانته اليهودية نجده لا يصور الوجه كشكل عفوي يفرض نفسه بل يسترشد بقراءته للتوراه حيث يفاجئ القارئ في كتابه الكلية واللانهائي بربط مفهوم الآخر بالكلمة المقدسة كما جاء في الكتاب المقدس من خلال سفر يوحنا " فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ "([٥٠]) حيث تظهر كلمة الله وحكمته متجلية من خلال وجه الآخر و لاسيما فيما ينبثق من المسؤليه الكاملة من الذات تجاه الآخر لذلك فالخطاب هو علاقة أخلاقيه وهو المسؤلية كما يتضح ذلك من خلال فلسفة ليفيناس ، لذلك فالوجه ، كما يقول ليفيناس : " يفتح الخطاب البدائي من خلال الإلتزام الذي هوالكلمة الأولى ([٥١])

حيث يكمن في الوجه السلطة العليا للأمر الإلهي الذي هو كلمة الله ، لذا كان الوجه الإنساني هو القناة لكلمة الله ، وكذلك كانت كلمة الله متمثلة في الآخر، و يذهب ليفيناس إلى أبعد من ذلك بإعطائه الأخر مكانة التقديس الإلهي حيث يأتي الآخر كما

([٤٦]) مجلة أوراق فلسفية :العدد ١٧ عدد عن إيمانويل ليفيناس وعادل طاهر ص ٨٢،٨٣

([47]) Emmanuel Levinas, Totality and Infinity, p.201

([48]) Ibid ,p. 215

([49]) Ibid ,p. 66

([٥٠]) يوحنا : ١:١

([51]) Emmanuel Levinas, Totality and Infinity,p.201

يصفه ليفيناس معبراً عن الظهور المقدس لله عن طريق تجليه من خلال الآخر فيقول ليفيناس " الآخرالإنساني ليس تجسداً لله ، لكنه "ظهور للعلو حيث يتجلى الله"([٥٢]) ويتجلى الله عن طريق الوجه ، لذلك حدد ليفيناس هوية الآخر بالوجه فيقول " أما الآخر فوجه "([٥٣]) ومن هنا وصف ليفيناس عُري الوجه بالظهور المقدس للوجه ، وذلك بناء على ما يوجد فيه من أثر للتجلي الإلهي من خلال العلاقة بالآخر فيقول " البعد الرباني يُشرع إنطلاقاً من الوجه ، إن ظهورالأخر يقوم على مناداتنا عبر بؤسه في وجه الغريب والأرملة واليتيم ، إن علاقتنا مع الآخر هي سلوك أخلاقي وليس لاهوتاً أومعرفة بخصائص الله عبر التماثل"([٥٤]) ويستكمل ليفيناس من خلال أثر وقسمات الوجه صياغة الأبعاد الدينية التي يعبر عنها الوجه فيقول " إن قسمات الوجه البدائية تُكون التعبير البارز ، لتصوغ الكلمة الأولى من خلال فحوى الإشارات الصادرة من العيون التي تنظر إليك"([٥٥]) وهذا يعني أنه بمجرد النظر في عين الآخر أستطيع أترجم ما بداخله من احتياجات ومتطلبات ينادي بها من خلال وجهه ، حيث أجد كما يقول ليفيناس " الآخر يظهر نفسه من خلال المقاومة المطلقة الصادرة من عينه العُزل ([٥٦]) فمن خلال دلالات العين أستطيع معرفة الحالة النفسية التي يمر بها الآخر من طمأنينة وخوف وما شابه ذلك من حالات نفسية يمر بها الآخر ، بل أن الوجه يمثل لوحة يستطيع من خلالها الآخر عرض بكل متطلباته حتى بالاستغاثة للدفاع عن نفسه ، ذلك أن الوجه هو ما لانستطيع قتله أو هو على الأقل يوحي ويتكلم من خلال قسماته وتعبيراته بعدم القتل ، وسنلاحظ وجود صله متعمده بين تحليلات ليفيناس الفلسفية والدينية ولذلك جاءت تأويلات ليفيناس لما ورد من نصوص في الكتاب المقدس متوافقة مع فلسفته منطلقا من (وصية لا تقتل) ويرى ليفيناس أن تحقيق هذه الوصية يتم من خلال الوجه حيث يقول " فالوجه يمنعنا من القتل " ([٥٧]) ،فكما أن الوجه "يدعوني إلى عمل من اعمال العنف ، فهو في الوقت نفسه ، يمنعنا من القتل"

([٥٢]) إيما نويل ليفيناس :الزمان والإخر، ترجمة جلال بدلة، ص٢٠

([٥٣]) المرجع السابق : ص١٩

([٥٤]) المرجع السابق : ص ١٩

([55]) Emmanuel Levinas, Totality and Infinity,p.178

([56]) Ibid,p.200

([57]) Emmanuel Levinas, Ethics and Infinity,p.86

([58]) ولذلك يحث ليفيناس على إكتشاف وجه الانسان الآخر بحيث نعي إمكانية فهمه ومتطلباته وهو ما يبعدنا عن العنف الذي يتولد غالباً من الصدام مع الآخر وعدم فهمه ولذلك فمن خلال الوجه نعي إمكانية القتل وعدم إمكانيته في أن واحد وهذا الوعي هو تأكيدي لضميري ، لذلك كانت لانهائية الوجه كم يقول ليفيناس " تشكك في حريتي التي كشفت أني قاتل ومغتصب ([59]) وهنا تأتي قاعدة لاتقتل ليست قاعدة للسلوك الإنساني بل هي مبدأ للحياه الروحية والخطاب العام للإنسانية، لذلك جاء تناول ليفيناس للأخلاق ذو أبعاد ميتافيزيقة مختلفاً عن التناول الفلسفى التقليدي الذي اعتبر الأخلاق قاعدة السلوك الإنساني وهذا ما سأتناوله في المبحث الثاني لهذا البحث .

([58]) Emmanuel Levinas ,Totality and Infinity,P.206

([59]) Emmanuel Levinas , *Difficult Freedom: Essays on Judaism,* p. 294

المبحث الثاني: جدل الهوية والإتيقا

المطلب الأول: العلاقة بين الأخلاق والهوية

المتتبع لتاريخ الفلسفة يجد العديد من المناهج المختلفة التي طرحها المفكرون والفلاسفة في طرح البُعد الأخلاقي في فلسفتهم فمنهم من ركز على البُعد الديني من خلال الإرادة الإلهية للأخلاق ومنهم من أشتق أسس فلسفته من الكتب المقدسة ومنهم من لجأ إلى التفسير العقلي وغير ذلك من التفسيرات المتعددة في مجال الفلسفة الخُلقية ،وعندما نقف على تفسيرات ليفيناس نجده يتخذ بُعداً أخر تميز به عن غيره حيث صاغ فلسفته الخُلقية من خلال الغيرية ، فبدلاً من اتخاذ العقل أوالأفكار أساساً لفلسفته الخلقية وبدلاً من التمييز بين الخير والشر استعاض ليفيناس بعلاقة الغيرية من خلال الآخر وهنا تعمل الأخلاق على تشكيل بُعداً أخر لمفهوم الهوية حيث أن الإعتراف بالأخر في فلسفة ليفيناس هي نقطة الإرتكاز الأساسية في فلسفته الخُلقية ولذلك اتخذت فلسفة ليفيناس معناً مختلفاً عن الأخلاق التقليدية القطعية **moral** وهو المعنى الإتيقي **ethique**، و الإتيقا ليست مسألة نظرية أو جدل أو اصدار قواعد ، ولكنها تستند إلى تجربه من التجاوزات التي أواجهها ، هذا التجاوز يحدث كما يقول ليفيناس "عندما يتحول الوجه نحوي ، في عريه الشديد جداً ، ملتمساً مني الاستجابة المباشرة وليس بالرجوع إلى نظام أو قواعد" ([٦٠]) لهذا السبب ، تبدأ فلسفه ليفيناس الأولى من تفسير الأخلاق أو الإتيقا والتي تختلف عن الأخلاق التي تسن الأوامر وقواعد السلوك الإنساني ، فالإتيقا قائمة على العلاقة المباشرة بين الأنا والآخر من خلال مفهوم الاختلاف ولذلك يطلق ليفيناس على هذه العلاقة علاقة إتيقية ،وهنا يجب التمييز بين الأخلاق بمعنى الإ تيقا و بين الأخلاق بمفهومها العام ذلك أن الإتيقا تطلق كما يقول ليفيناس"على العلاقة بالأخر بصفته الفردية ، في حين ان هذه الأخيرة (يقصد الأخلاق العامة) مفهوم من مفاهيم القيم والسلوك " ([٦١]) لذا كانت الإتيقا هي " الحدث الأول الذي يأتى منه سؤال الحقيقة ويصاغ منه معنى الكينونة وينبثق من خلاله إمكانية اللقاء مع الأخرالإنساني وجهاً

([60]) Emmanuel Levinas, Totality and Infinity, p.75
([61])Ibid, p.21

لوجه"([٦٢]) ويؤكد ليفيناس أن الإتيقا هي القادره وحدها على بيان الدلالات الأولى التي تعطي للإنسان معنى كينونته ولذلك أصبحت فيما يرى ليفيناس " وحدها القادرة على فهم الحدث الأول الذي اُسس لسؤال معنى الكينونة الذي طرحه هيدجر في كتابه الكينونة والزمان ،وهي بذلك تتقدم على الأ نطولوجيا (أي علم الوجود) إنها تشير إلى فضا ء أكثر أصلية من هذه الأ خيرة " ([٦٣])

لذا أطلق ليفيناس على الإتيقا الفلسفة الاولى حيث يعتقد أن اللقاء بين الأنا والآخر ، لقاء أخلاقي ويصف هذا اللقاء بأنه " يرتكز علي البعد الأكثر أساسية للوجود البشري وبهذه الطريقة يتحدد ويتميز كمستوى من مستويات الميتافيزيقيا منذ البداية ، وذلك سبباً في أن ندعو فلسفة الأخلاق... الفلسفة الاولي " ([٦٤]). لقد وضع ليفيناس مسألة وجهاً لوجه كنقطة انطلاق لبدء الفلسفة ولم يبدأ من الوجود ، أو من الله ، ولكن من خلال المسائل الأخلاقيه التي تُفسر العلاقة بين الذات والآخر والذي هو الشرط الرئيسي للاتصالات البشرية ، وعلى هذا النحو يتشكل التعارض بين الأخلاق والأنطولوجيا ، فالأخلاق تشير إلى مستوى ميتافيزيقي لا يمكن لأي أنطولوجيا بلوغه ، وهو الأ خرية، وبالتالي، " فالأخلاق تقوم على أولّية الآخر ، وذلك بالتعارض مع الأولية التي تمنحها الأ نطولوجيا للذات " ([٦٥]) ويوضح ليفيناس بأن هذا لا يعني اننا نعيش في عالم خال من القيم ، ولكن هناك علاقة بالأخر تتجاوز كل القيم والمعايير، ولا يتم ذلك إلا من خلال الإتيقا التي هي الاستجابة الفورية للإنسان الآخر الذي يطلب علاقة معي دون تفاوض أو شرعيه من جانبي ، ولذلك اصبح الاعتراف بالأخر شرط أساسي من أجل قيام علاقة أخلاقية معه ولا يمكن وجود الأخلاق بدون إتيقا ، ويذهب ليفيناس في توضيح العلاقة الاتيقية بين الأنا والآخر ويصفها بأنها علاقة غير متناظرة ، حيث أن علاقة الآخر بالنسبة لي ليست هي نفس علاقتي به ، فأنا مطالب تجاه الأخر أكثر مما قد انتظره في المقابل من الأخر بالنسبة لي ، لذا جاءت العلاقة غير متبادلة ، لذلك يرفض ليفيناس ما قد تكون عليه الأنا من إيثار لنفسها عن الآخر و يصفها بقوله "أن الذاتية هي

([62])Ibid, p.144

([٦٣]) إيما نويل ليفيناس :الزمان والإخر، ترجمة جلال بدلة ص٨

([64]) Emmanuel Levinas, Ethics and Infinity ,p.54

([٦٥]) إيما نويل ليفيناس :الزمان والإخر، ترجمة جلال بدلة ، ص٨

الأنانية " ([٦٦]) ومن هنا يؤكد بأنه يجب علي المرء أن يدافع عن حقوق الشخص الآخر ، بالدرجة الاولى أكثر مما يدافع عن حقوقه ، و يقترح ليفيناس من منظور النزعة الإنسانية ما أسماه " بالنزعة الانسانيه من الآخر ، بدلاً من النزعة الإنسانية من الأول"([٦٧]) ويقصد انطلاق العلاقة الاجتماعية من الآخر إلى الذات وليس العكس وهذه العلاقة الغير متناظرة هي التي تشكل جوهر الأخلاق الإتيقة عند ليفيناس، وهذا ما جعل ليفيناس يستبعد الأخلاق النظرية التي تقوم فيما يتعلق بالعلاقة مع الآخر، والتي غالبا ما تنادي بالمساواه بين البشر وأن جميع البشر متشابهون ، حيث يذهب ليفيناس على النقيض من ذلك فيرى " أن هذا الافتراض غير مفهوم لأن الجميع يختلفون عن بعضهم البعض ، وبهذا المعني فإن المفهوم العام للإنسان و ببساطه بعيداً عن هذا الفهم"([٦٨]) ولذلك يؤكد أن تجاوز الفرد ليس تعبيراً عن عدم الرضا عن بيئاته أو ظروفه المعيشية ولا عن توقه إلى حياه أفضل أو إلى عالم مختلف لأن الهيكل النهائي للإنسانيه ، وفقا لما ذكره ليفيناس ، "لا يكمن في المساواة والعلاقة المتبادلة ، وإنما في لا نهائية وجه الآخر، ويصبح وجه الآخرفي تجاوزه وتعاليه هو الذي يشكل الهيكل الكامل للبشرية " ([٦٩]) ويعتبر مصطلح التجاوز واللانهائية من أهم المصطلحات الرئيسية في فلسفه ليفيناس ، وهو يعني على وجه العموم الذهاب إلى ابعد من ذلك ، وقد استخدمه ليفيناس " لتحديد قدره البشر على الهروب من انشغالهم الطبيعي مع أنفسهم ، وهو ما يسمي عاده التفوق الذاتي"([٧٠]) ويستطرد ليفيناس في توضيح مصطلح التجاوز واللانهائية بانه " ، يشير إلى أن التفرد الذي ينفرد به كل إنسان يكمن في حقيقة انه مختلف عن الآخر إختلافاً تاماً "([٧١]) و من دون هذا الفرق لن يصل الإنسان لمرحلة التجاوز والتفوق ، وقد ربط ليفيناس هذا المصطلح فيما بعد بالدين وبكل ما يُعبر عن ماهو إلهي على نحو ما سيتضح بعد ، ولهذا

([66]) Emmanuel Levinas, Ethics and Infinity, p.54

([67]) Emmanuel Levinas, Humanism of the Other, trans. Nidra Poller Urbana and Chicag, University of Illinois Press, 2006 ,p. 80.

([68]) Emmanuel Levinas,, Alterity and Transcendence , trans. Michael B. Smith (New York: Columbia University Press, 1999,p. xxii.

([69]) Ibid: P.xxii.

([70]) Emmanuel Levinas ,Transcendence and Height, Basic philosophical ,writings Bloomington, Indiana University Press. 1996 p:27

([71]) Ibid : p.29

السبب يرى ليفيناس إنه من المهم تجنب استخدام بعض المصطلحات التي توحي بوجود بعض أوجه التشابه بين البشر وانتماءهم إلى نفس الجوهر وبدلاً من القواسم المشتركة التي يتقاسمها جميع البشر كأعضاء من نفس النوع، فان ليفيناس يؤسس أخلاقه علي تفرد الشخص الآخر ،ولا يستند هذا التفرد إلى السمات المختلفة التي يتمتع بها هذا الشخص ، ولا إلى حقيقة أن الشخص ياتي من خلفيه إجتماعية أو إقتصادية أو دينيه مختلفه، بدلاً من ذلك كما يقول ليفيناس "الآخر هو آخر بسببي، وهو فريد من نوعه وبطريقه مختلفه عن الاختلافات القائمة على الجنس والنوع، كما أن الفرق الذي يحدد الغيرية ليس من خلال بعض الاختلافات الاجتماعية أو الشخصية التي لدى الآخر ...ولكن من خلال حقيقة غيرية الآخر المختلف عن الذات"([٧٢]) لذا فأساس علاقة الذات بالآخر تتحدد على أساس أنها علاقة ذاتية غير متناظرة قائمة علي تفرد الآخر كما سبق واشرنا لذلك ، مما يترتب عليها أثاراً واسعه النطاق على الممارسات الأخلاقيه أيضاً ، ويرى ليفيناس بأنه بالنظر إلى علاقة الذات بالآخر على أنها " علاقة غير متبادلة وأني أعامل الآخر بكل تفرده ، فلن تكون هناك وصفة أخلاقية أو قانون عالمي ملزم لجميع البشر"([٧٣])

وبعبارة أخرى ، لا يمكن جعل العلاقة بين الذات والآخر مؤسسة على قانون الأخلاق النظرية ، ونتيجة لذلك فليست الأخلاق وفقاً لمصطلحات ليفيناس ناتجة عن الهيمنة والسيطرة على الآخر وإنما بالأحرى هي ناشئة نتيجة علاقة إجتماعية بين الذات والآخر بوصفه الشكل النهائي للعلاقة الآخلاقية ويمكن وصف الأخلاق الليفانسية بإنها حركة تجاه الآخر ، بدلا من العودة إلى الذات كما كانت عليها الفلسفة التقليدية ،وهذه الحركة تصبح أساساً للعدالة الاجتماعية وهذه العدالة لن تتحقق إلا بتحمل الذات مسؤليتها الكاملة عن الآخر وكما يوضحها ليفيناس" أنه نظراً لأن الآخر ينظر لي ، فانا مسؤل عنه ، حتى دون أن أتخذ في هذا الصدد مسؤوليتي عنه بعد ، فمسؤوليته تقع علي عاتقي... بمعنى أني مسؤل عنه مسؤولية كاملة "([٧٤]) فالمسؤلية هي جوهر الإتيقا عند ليفيناس على نحو ما سيتضح في المطلب التالي .

([72]) Ibid p: 27
([73]) Ibid :p. 29
([74]) Emmanuel Levinas, Ethics and Infinity , p. 97

المطلب الثاني :إتيقا المسؤلية

يعتقد ليفيناس أن الأصوات المهيمنة في التقاليد الفلسفية الغربية تميل إلى تعريف الطبيعة البشرية من حيث العقل أوالحرية أو المصلحة الذاتية ، وعلى النقيض من ذلك ، فإن ليفيناس يوحي بأن ما هو أساسي لنا كاشخاص هو المسؤولية الأخلاقيه تجاه الآخرين من خلال وجه الآخر ، الذي يكشف مسؤوليتنا عنه ، فالمسؤولية هي الشرط الخاص بهويه الشخص ذاته ، لذلك يصبح " جوهر الذات الإنسانية ليس سوى دعوه إلى المسؤولية ونحن لا وجود لنا ككائنات حرة أو مستمرة قبل هذه الدعوة ، ولكننا نأتي إلى حيز الوجود كمواضيع من خلال الطلب الأخلاقي" (٧٥) ولكي تصبح الذات مسؤلة لا تستطيع أن تصبح قادرة على الهروب من هذه المسؤولية ، ويؤكد ليفيناس على هذا بقوله "المسؤولية الاخلاقيه لا تنشا بين شخص من هذا النوع وشخص من هذا النوع ، ولكن المسؤلية تنشا كلما واجهت الذات أي إنسان ، وقبل التفكيرفي معرفة ما يجب علي القيام به "(٧٦) ولذلك كان الأخر هو الوجود الذي يعبر عن نفسه و يفرض نفسه ، ولكن يفعل ذلك بالضبط عن طريق مناشدته لي من خلال الفقر والعري ومن خلال جوعه، دون أن أكون قادراً علي أن أكون أصم لهذا النداء، لذلك فمن خلال المسؤلية نجد كما يقول ليفيناس " أن الذات بمجرد رؤيتها للفقراء فأول ما يتبادر لها هو ما الذي يمكنني القيام به"(٧٧) ولا بد في عمل شيء لمساعدته وهكذا فإن التعبير الذي يفرض نفسه لا يقيد من حريتي بل العكس إنه يعزز حريتي ، من خلال إثارة الخير عندي، ومن هنا كما يؤكد ليفيناس على أن " الإعتراف بالأخر هو الاعتراف بالجوع ، والاعتراف بالآخر هو العطاء، لذلك فإن فوجود الآخريشكك في سعادتي داخل العالم"(٧٨) وما يقصده ليفيناس هو أن سعادتي مرهونة بسعادة الآخرين لذا فما يحكم علاقتي بالآخر ليست الحرية ولكنها المسؤلية ذلك أن حرية الأنا كما يقول ليفيناس "هي التي قوضت هوية الذات و حولتها

(75) Ibid ,p.100

(76) Emmanuel Levinas, Collected Philosophical Papers, p. 97

(٧٧)Emmanuel Levinas, Ethics and Infinity , p.89.

(78) Emmanuel Levinas Totality and Infinity , p.75

إلى شبيه ، بينما المسؤولية هي التي تدفع الأنا إلى أن تأخذ الآخر على عاتقها ، و تصبح مسؤولة عن مسؤوليته،دون انتظار أي مقابل ، و إلا لا معنى لحرية الآخر" (٧٩) ويستطرد ليفيناس في تأكيده على مسؤلية الذات نحو الآخر بقوله "إن الذات الحاضرة تتحمل مسؤولية الإنسان القادم لكونها مسؤولة مسؤولية مطلقة تجاه الآخر ، وهذا الآخرالذي ليس أنا أخرى بل الآخر في غيريته"(٨٠) وهنا تصبح المسؤلية من وجهة نظر ليفيناس بمثابة الوحي ،حيث يصفها ليفيناس باعتبارها مسأله وحي ،و يجب أن نشهدها أو نشاهدها ، ويكتب "لم تكن التجربة أو البرهان أدلة على اللانهائي ، ولكنهما شاهدان على اللانهائي"(٨١) و هذه الشهادة كما يراها ليفيناس في المقام الأول ليست عن طريق الكلمات و الحجج ، ولكن من خلال العمل ، ومن خلال العطاء الملموس لأنفسنا لمساعده الآخرين، فبدل من القلق و الجهد في محاولة فهم الحقائق الغامضة أو التنبؤ بالآحداث في المستقبل ، بدلاً من ذلك ، لا بد لنا من أن نتكلم ضد القوى التي تكون مبعث قلق بالنسبة لمن يعانون من التهميش أو الضعف أو الإهمال، بالنسبة للأرمله والغريب واليتيم ، فالالتزام الأخلاقي للمرء نحو الغريب ينشا علي وجه التحديد من حقيقة أن الغريب هو الشخص الذي لا علاقة له بي ، وتحديدا من خلال الروابط العائلية ، بالنسبة لي ، ويؤكد ليفيناس من خلال تأثره بالنصوص المقدسة التي جاءت في التوراه و التى تحث على الالتزام الخلقي نحوالغريب ، والأرمله واليتيم ، فقد جاء في سفر إشعيا "تعلموا الإحسان، أنشدوا الحق، أنصفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، ودافعوا عن الأرملة"(٨٢) ، فالغريب ، مثل اليتيم والأرملة كما تذكر التوراه ليس لديهم أي إدعاء علي سوى أنهم إنسان يطالبني بعلاقة معه من خلال إنصافه وقضاء حاجاته والدفاع عنه لذلك فعلاقتي بالآخر تتحدد كما يقول ليفيناس " ليس بسبب خاصيته أو هيئته أو سيكولوجيته، وإنما بسبب آخريته بالذات. فهو الضعيف – على سبيل المثال – وهو الفقير، والأرملة واليتيم"(٨٣)

---

(79) Ibid ,p.76
(80) Ibid ,p. 87
(81) Ibid ,p.169

(٨٢) اشعيا ١:٧

(٨٣) المرجع السابق، ص٣٩

وكما ربط ليفيناس من قبل دلالة الوجه بالبعد الديني كذلك ربط المسؤلية بالدين فيقول أن "مسؤليتي تجاه الآخر تتحدد عندما لا أحصل على الآخر في طريق رؤيتي لله ولكن احصل على الله باستماعي للآخر"([٨٤]) انطلاقاً من هذا يعيد ليفيناس التفكير في المفاهيم الدينية فتغير عنده مفهوم التضحية ،" فليس التضحية التي قدمت لنا لتخفيف آثامنا ، ولكن كقدره ومسؤولية "([٨٥]) ويشرح ليفيناس هذه التضحية بأننا يجب أن نضحي بمصالحنا من أجل الآخرين ، فعلينا إخراج الخبز من أفواهنا ، لتغذيه جوعهم ، وعلينا الصيام من أجلهم ، لذا ارتبط مفهوم التضحية عند ليفيناس بالرحمة فالرحمة هي الاستجابة الأخلاقيه للآخر ومن هنا فالعلاقة بالآخر كما يراها ليفيناس " هي علاقة تعتمد على العاطفة والرحمة"([٨٦]) ، وهي تختلف عن فهم سارترللعلاقة الإنسانية مع الآخرين التي وصفها بأنها جحيم، حيث يرى سارتر أنه نظراً لأن الآخر يحد دائما من حريه الأنا واستقلاليتها ، فإن الآخر هو الجحيم للأنا . كما انه يصف الأنا وعلاقتها بالآخر بأنها علاقة نزاع، والفرق واضح في اختلاف فلسفة ليفيناس اختلافاً كبيراً عما نصادفه عاده في تاريخ الفلسفة الأخلاقيه الغربية ، فبدلاً من التمركز حول الذات والمبادئ والقيم الأخلاقيه ، تأتي فلسفة ليفيناس الأخلاقية بتأكيدها على التشكيك في حق الذات وحريتها من جانب الآخر في علاقة غير متناظرة من خلال وجه الآخر الذي يدعوني إلى التجاوز عن الشمولية والكلية التي تختزل الآخروتحصره داخل حدود الأنا ، ولذلك يُلزم ليفيناس الديانات وبالأحرى اليهودية والمسيحية التي يوليها اهتماماً خاصاً بأن عليها مهمة الشهادة على مسؤوليتنا الأخلاقيه نحو الآخرين مؤكداً أن مقاطع من الكتاب المقدس بشقيه العهد القديم والعهد الجديد تدافع عن فكرته بأن الإلتزام الديني هو الاهتمام الأخلاقي بالآخرين ، فقد جاء في العهد القديم في سفر إرميا " من يقضى قضاء الفقير والمسكين يكون في هذا معرفة الرب"([٨٧])

([84]) Westphal Merold, Levinas and Kierkegaard in Dialogue. Bloomington and Indianapolis: Indiana University Press, 2008 ,p.55

([85]) Emmanuel Levinas , Collected phillosohical papers,p.122

([86]) Emmanuel Levinas, Ethics and Infinity, p.104

([٨٧]) إرميا :١٦:٢٢

"وفي العهد الجديد جاء في إنجيل متى" ..يشبه ملكوت السماوات حبة خردل أخذهما إنسان وزرعهما في حقله"([٨٨]) لذلك يعتقد ليفيناس ان هناك حكمه يمكن الحصول عليها من دراسة الكتاب المقدس ، "ليس لأنها تتألف من الحقائق التي يعطيها الله ، ولكن لأنها تشهد على الأخلاق"([٨٩]) وهذا اتجاه سلبي نحو الدين من ليفيناس فعلى الرغم من أنه يمنح مكانة خاصة لبعض النصوص الدينية ، إلا أنه يقيد هذه المكانة داخل الأخلاق فقط لأنها لا تقوم على تجربة خاصة ومباشرة مع الله وربما كان الدافع وراء ذلك هو قلق ليفيناس بأن هذا النوع من الخبرة الدينيه يمكن أن يدفع الناس إلى تبريراتهم لبعض المعتقدات أو الأفعال بغض النظر عن احتياجات الآخرين، فعندما يكون للمرء في خط مباشر مع الله ، فما الحاجة إلى الحوار والتشاور مع الآخرين ؟ فهذه التجارب ، بالنسبة لليفيناس ، تعارض الدين الحقيقي. على نحو ما سنعرضه في المبحث القادم.

([٨٨]) متى ٣١:١٣ وما بعدها حتى أية ٤٠

([89]) Emmanuel Levinas, Ethics and Infinity, p.104

المبحث الثالث البعد الديني لمفهوم الهوية

المطلب الأول : مفهوم الدين

لعب الدين دوراً أساسياً في التاريخ الفكري والسياسي للحداثة العلمانية الغربية ، وقد خالف ليفيناس المنظور السائد للدين بطرحه تصوراً يستند إلى الأخلاق الاجتماعية التي ترتكز علي السمو الديني ، مسترشدا بالميتافيزيقيا الأخلاقية حيث رفض ليفيناس التفكير الضيق في المفهوم الأيدلوجي للدين الذي يدعمه الأصوليون المتدينين ويعارضه دعاة الانسانية من العلمانيين. وهو يبين كيف أن الدين ، من خلال الانفصال والارتباط بين القداسة والأخلاق ، مطلوب منه أن يؤدي دوراً إيجابياً في ظل الحرية والتعدديه والديمقراطية ، ولذلك رفض المصطلح التقليدي للدين الذي يقتصر على أن الدين هو العلاقة بين الانسان والله فقط من خلال الشعور الغامض في محاولات الإنسان الحصول على نوع من الاتصال أو التواصل مع الله حيث يرى ليفيناس أن الدين "لا يتصف بالعلاقة لأننا عاده ما نفكر في العلاقة على أنها تشكل نوعا من كل شيء ، عن طريق الربط أو التعادل بين شرطي العلاقة. (٩٠) "ولذلك فالعلاقة بين الوجود و المتعال من منظور ليفيناس ، " لا ينتج عنها في أي مجتمع أي مفهوم كلي، فهي علاقة بدون علاقة ، نحن نحتفظ بمصطلح الدين " (٩١) ومن هذه الصيغة يفصل ليفيناس بين المصطلحين (العلاقة، والدين) ولذلك يسعى ليفيناس من خلال اللغة لتفسير مصطلح العلاقة مع الحذر الشديد في ربط الدين بمفهوم التجاوز والتعالي فهو يريد بطريقة أو بأخرى ادراج الدين داخل نطاق الوجود الفعلي والنشاط البشري الذي من شأنه أن يحول المجهول إلى نطاق المعرفة ، ولذلك أصبح الدين فيما يرى ليفيناس " ليس علاقة مع المتعال ولكنه هوالعلاقة التي تنشأ بين الأنا والآخر والتي لا يمكن أن تندرج داخل الكلانية " (٩٢) التي من شأنها أن تبتلع الآخر ، ومن هنا يصبح الدين بهذا المعنى هو ، فئة من النشاط ، وليس علاقة بالمتعال كما يحاول ليفيناس التوضيح لهذا ، ومن هذا المنطلق جاءت مفاهيم ليفيناس المتعلقة بالإتيقا والدين و الهويه تهبط بمفهوم اللانهائي داخل نطاق النشاط البشري في الوجود

(90) Emmanuel Levinas, Totality and Infinity:p.79

(91)Ibid ,p.198

(٩٢) إيما نويل ليفيناس :الزمان والإخر، ترجمة جلال بدلة ، ص١٠

ولذلك يؤكد ليفيناس بأنه "لا معني للدين الذي يرتكز فقط علي العقائد التجريدية والطقوس المفرطة ، لأن هذا يتجاهل القلق والحب تجاه الآخرين ، وهذا النوع من الدين يحول اهتمام الذات بعيداً عن الآخر"([٩٣]) ومن هنا ينتقد ليفيناس العقائد والطقوس التي من شأنها أن تصرف اهتمامنا عن الرعاية والمسؤولية التي ينبغي أن توجهها الذات للآخر، ولذلك يؤكد ليفيناس أنه " بدون الأخلاق ، يصبح الدين خطاباً فارغاً وطقوساً لا معني لها"([٩٤]) ومن هنا فالأخلاق هي جوهر الدين في فلسفة ليفيناس ، لذا جاءت فلسفته الأخلاقيه تعمل على فتح أبعاد دينية بعيدة عن الأبعاد الدينية التقليدية السائدة في عصره حيث أكد على بُعد الدين عن التفكير المختلط المغرض ذلك أن الدين بمجرد أن يصبح مختلطاً بالتفكير المغرض ، يصبح علمانيا ويفقد سلطته المتعالية ومن هنا أكد ليفيناس بأن أي شكل من أشكال الدين إن لم يكن قائماً على علاقة أخلاقية بين البشر فهو يمثل شكل من أشكال الدين البدائي فيقول " كل ما لا يمكن اختزاله إلى علاقة بين البشر لا يمثل الشكل الأعلى للدين وانما نعتبره شكلاً بدائياً للدين و إلى الأبد"([٩٥]) ولا يوضح لنا ليفيناس ما هذا الشكل البدائي من الدين الذي يعنيه بالبالضبط، ولكن أعتقد انه كل دين لا يسمح بتضحية من الذات من أجل الأخر بصرف النظر من هو الآخر ولذلك فهو يعارض أي أصولية دينية تقمع الحرية والمسؤلية تجاه الأخرين التي من شأنها أن تولد العنف.

ولذلك فعلامة الدين الحقيقي هو القائم على العنصرالأخلاقي ، ولا يستثني اي دين ،من ذلك ، وقد أطلق ليفيناس صيحته "الأخلاق تسبق العقيدة " ([٩٦]) وهذا عكس ما ذهب إليه بعض الفلاسفة بانه لا أخلاق بدون دين ولا دين بدون أخلاق ، وعلى ذلك فقد نادى ليفيناس بأننا " يجب أن نحترم و نحتضن ونعترف بالآخرين كزملاء مؤمنين و مشاركين على الطريق نحو الله ، وفي نهاية الأمر لا يوجد دين حقيقي يخلو من المبادئ الاخلاقيه"([٩٧]) فجوهر الدين عند ليفيناس " ليس الحماس العاطفي والاتصال المباشر مع

([93]) Emmanuel Levinas, Ethics and Infinity,p.105
([94]), 'Sean Hand, The Levinas Reader Emmanuel Levinas ,Oxford, United Kingdom: Blackwell, 1989, p. 67.
([95]) Emmanuel Levinas, Totality and Infinity:p.79
([96]) Emmanuel Levinas, Alterity and Transcendence , p.80.
([97]) Emmanuel Levinas Totality and Infinity p. 51.

الله ، ولكنه استجابة الوعي والعقل ، بالمسؤلية تجاه الآخرين "([٩٨]) وعلى ذلك نستطيع القول أن ما يسعى له ليفيناس هو الدين المؤسس على الأخلاق وليس دين العبادات وهو هنا يتماثل مع كانط الذي استبدل مفهوم الدين الخلقي المحض بوصفه هو الأصلح لدين عام للإنسانية بذلك المفهوم دين العبادات الذي ربما يتبع في أغلبه أوامر لا تخص الإنسان بل تخص شأن الله

ولذلك جاء تفسير ليفيناس للنصوص المقدسة " تفسيرا يتجاوز النص نفسه"([٩٩]) حيث لا يتم إنجازه من قبل النص وحده ، ولكن بالأحرى من قبل القراء ، وهي عمليه مشروطه بإحساسهم بالمسؤولية الأخلاقيه ، ويعتمد ذلك على علاقة القراء بالنص وعلى دعوتهم إلى الآخرين ، عندما يقف القارئ ليس فقط عبر النص ولكن أيضاً يواجه القارئ الآخرين ، فإن النص يتلقى حيوية جديده تتجاوز الهرمونطيقا من النص ويواجه الآخر وغيره . لذلك جاءت تفسيرات ليفيناس " ليس لقاءاً انفرادياً بين القارئ والنص ، وانما هو لقاء ينبثق عن النص، ويمكن للمرء أن يقدر هذه الفكرة بشكل أوفى إذا ما فكر المرء في الأهميه بين مسؤوليه القارئ تجاه النص والمسؤولية التي يتحملها عندما يطلب منه أن يشرحها للآخرين" ([١٠٠]) لذلك جاءت الأبعاد المتعالية للوجود من خلال مواجهة الآخر حيث يسعى ليفيناس " إلى تغيير منظور القراءة الأصولية للنص المقدس التي يراها غير مجدية بتحويل الرسائل الميتة إلى المحادثة الحية التي هي لغة الأخلاق ، من خلال الآخر" ([١٠١]) ، ويدعوا ليفيناس "إلى أننا يجب أن لا نقرأ النص المقدس في حد ذاته بل نقرأه في نهج "واحد من أجل الأخر، إنه ليس فيولا * " ([١٠٢]) فكما أن الموسيقى نلعب عليها للوصول للدلالات الأبدية من خلال الطابع الزمني للموسيقى كذلك النص المقدس " يستمد

([98]) Emmanuel Levinas , *Difficult Freedom: Essays on Judaism.* , p.23

([99]) Claire Elise Katz, "Lévinas—Between Philosophy and Rhetoric: The 'Teaching of Lévinas's Scriptural References," Philosophy and Rhetoric, 2005, p.159

([100]) Ibid ,p.172.

([101]) TheMeaning of Scriptures in the Thought of Emmanuel Lévinas http://jsr.shanti.virginia.edu/back-issues/vol-14-no-2-novem.

([١٠٢])* وهي تشبه آلة الكمان تماما، وتعزف بنفس طريقتها، غير أنها أكبر قليلا في الحجم وأطول حوالي ٧ سم، وحيث أن طولها يبلغ ٤٣ سم تقريبا، وبالتالى فهي أغلظ في الصوت. وقد بدأ استخدام آلة الفيولا في أواخر القرن السابع عشر الميلادى.

إشارته ليس من بعده الكامل ، ولكن من الطابع الزمني لقراءته " ([103])،لذلك يرفض ليفيناس أن نجعل قراءة النص جامدة لاحراك فيها مثل أوترالفيولا ولهذا أكد بأنه لا يجب أن تصبح " قراءة النص ممددة علي التقاليد مثل أوتار فيولا " [104]ومن هنا تغير المفهوم النهائي للدين عند ليفيناس وانحصر في قوله السابق وهوعدم الجمود في قراءة النص المقدس وكأنه يريد بفلسفته أن يعدل في الخطاب الديني المسيحي واليهودي حتى لا يجمد على التفسيرات الأصولية القديمة

كذلك يظهر من هذا النص عدم رفض ليفيناس للدين كما ذهب كثيرون ولكن هو تعبير ليفيناس لرفضه القاطع للتفسير الأصولي للدين فهو يريد نظام الهي مباشر غير قائم على الوساطة ومن هذا المنطلق تحدد مفهوم اللانهائي عند ليفيناس .

المطلب الثاني مفهوم اللانهائي واللاهوت الإخلاقي

على الرغم من أن فكرة اللانهائي هي مفتاح الفلاسفة لإثبات وجود الله ، إلا أن ليفيناس يضع هذه الفكرة في مكان آخر، فهي ليست من الأدلة على إثبات وجود الله ، حيث مثلت فكرة اللانهائي كما وصفها ديكارت بأنها الشكل الرسمي لعلاقة التجاوزات وتجلى هذا المفهوم عند ليفيناس من خلال فكرة اللانهائي المتمثلة في " وجه الآخرالذي يعبر عن سماحته ، ويتسم بالتعالي واللاهوت الذي ينزل منه" ([105])

ولكنه جعل التجاوزات تحدث في بُعد أخلاقي حيث رفض ليفيناس ما ذهب إليه اللاهوت والميتافيزيقا الغربية في تعريف الله بأنه الكيان الأعلى ، فإذا كان الله في اللاهوت ينظر إليه على أنه الكيان الأعلى ، إلا أنه ترك المعنى للغاية الحقيقة من الوجود ذاته غير مدروس، لذلك يرى ليفيناس أن اللاهوت هو تعبير عن التقاليد الغربية التي تحول الوجود إلى كيانات يمكن عندئذ فهمها وإتقانها، حيث يبدي ليفيناس مخاوفه وقلقه "من أن الرغبة في الفهم والإتقان يغطي على مسؤوليتنا الاخلاقيه للآخرين " [106] ويتفق مع هيدجر في نظرته للاهوت بأنها تغير نظرتنا لمفهوم الوجود ، إلا أنه يختلف معه في

([103]) Emmanuel Levinas, The Strings and the Viola in Outside the Subject, trans. Michael B. Smith, ,Stanford: Stanford University Press, 1993, p .174

([104]) Ibid, p.174

([105]) Emmanuel Levinas Totality and Infinity, P. 262

([106]) Levinas's Concept of Religion and its Relation to Judaism http://ghansel.free.fr/smithjeru.htm

موقفه من اللاهوت، ، فإذا كان موقف هيدجر من اللاهوت بأنه يفسد تفكيرنا في الوجود ، فإن قلق ليفيناس " من اللاهوت بسبب أنه يفسد تفكيرنا عن الله " ([١٠٧]) وهذه مقابلة بين مفهوم هيدجر وليفيناس من ناحية الدين فإذا كان لنا أن نفكر في الله ، يجب ان نبدأ من الأخلاق ، وليس الوجود . ويبدو أن ليفيناس أسس لمشروع جان لوك ماريون *([١٠٨]) (١٩٤٦ -).

في محاولة للتفكير في الله دون أن يكون في الوجود والتي أطلق عليها ماريون الإله المشطوب وهو تحرير الله من الوجود ،([١٠٩]) لذلك يؤكد ليفيناس أن الدين سيكون سلاحاً مدمراً وخطيراً عندما لا يرتكز على مسؤوليتنا الاخلاقيه تجاه الآخرين ويرى أن العلاقة بالآخرين لا تتم من خلال المعرفة بالله بل القضية عكسية حيث تتم المعرفة بالله عن طريق العلاقة بالآخرين فكما سبق وذكرنا قول ليفيناس".. لا نحصل علي الآخر في طريق رؤية الله ، ولكن نرى الله في نهاية المطاف عن طريق الاستماع إلى الآخرين " ([١١٠]) ولذلك يتجلى معنى التجاوز الإلهي عند ليفيناس من خلال وجه الأخرين ومن هنا " يعتبر الله بتجاوزه الأعلى والنهائي في الوجود مقدمة العدل الإنساني " ([١١١]) و هذا العدل وهذه الأخلاق التي يدعمها الدين التوحيدي الحقيقي فيما يرى ليفيناس تكون من خلال " الخيارات اليومية الصعبة والمهام السياسية المسيحية، وهي بالبالضبط التي ترسم ما هو إلهي"([١١٢]) لذلك يتجلى الإلهى فيما يؤكد ليفيناس من وجود المعاناة للآخرالتي يجب ان

([107]) ibid

([١٠٨]) *جان لوك ماريون (ولد في ٣ يوليو ١٩٤٦) هو مؤرخ الفرنسية من الفلسفة ، والظواهر ، واللاهوت الكاثوليك الروماني. ماريون هو الطالب السابق جاك ديريدا الذي يتم اعلام العمل من قبل اللاهوت وباطني ، الظواهر ، والفلسفة الحديثة. [١] وقد تعامل الكثير من عمله الأكاديمي مع ديكارت وعلماء الظواهر مثل مارتن هيدغر وأدموند هوسرل ، ولكن أيضا الدين. الله دون ان يكون ، علي سبيل المثال ، والمعنية في الغالب مع تحليل الوثنية ، وهو موضوع مرتبط بقوة في عمل ماريون مع الحب والهدية ، وهو مفهوم أيضا استكشاف مطولا من قبل ديريدا.

([109]) God and Philosophy." *Philosophy Today* 22, no. 2 ,1978,p. 127

([110]) Westphal, Merold. Levinas and Kierkegaard in Dialogue. Bloomington and Indianapolis: Indiana University Press, 2008e, p.53

([111]) Ibid

([112]) Emmanuel Levinas Totality and Infinity p.78

تحول الموضوع من رعاية الذات إلى رعاية الآخر، وعلاوة على ذلك ، فإن رعاية الآخر دائما ممتعه وتجلب السعادة التي قد لا نجدها في انفراد الذات عن الأخر وهي في الوقت ذاته مؤلمة لأنها تتعارض مع النمط المعيشي الأساسي للأنا التي تسعى لمتعتها الشخصية ، وعلى الرغم من أن كلاً من المتعة والمعاناة هي وسائل الإحساس ، فإن المعاناة فقط كما يذهب ليفيناس " هي التي يمكن أن تجعل من الممكن موضوعاً أخلاقياً حقاً ، فالذات تخضع النفس وهو معاناة المعاناة"([113]) وكما يقول ليفيناس ، إن ما يجعلني أعيش في هذه المعاناة هو الشعور بالمسؤلية تجاه الأخرين .

وهنا نلاحظ أن التبعية ليست للأخلاق المتعلقة بالدين بل بقيام الدين على الأخلاق أي أن الأخلاق اليفيناسية هي لاهوت أخلاقي وليست اخلاق لاهوتية وهذا يدعم التماثل بين ليفيناس وكانط من حيث أسبقية الأخلاق على الدين عند كليهما ، ولكن الفرق الرئيسي بين كانط و ليفيناس هو أن الأول يعتبر القانون الأخلاقي مصدراً أخلاقياً لتحفيز الذات الأخلاقية على تحمل المسؤولية عن الآخر ، في حين يتعامل الأخيرمع وجه الآخر كقوة أخلاقية تثير الشعور الأخلاقي للذات، ونجد كانط يؤسس مبدأه من خلال شرط حُسن النية ؛ وعلى العكس من ذلك ، يؤكد ليفيناس أن "البعد الأخلاقي للموضوع لا يكشف عن نفسه إلا بشرط أن يبدأ من اللانهائي المتمثل في الوجود الخاص للشخص الآخر الواقف أمام الموضوع" ([114]) وبينما يعطي كانط الأسبقيه للحكم الذاتي ، فإن ليفيناس يعتبر مذهب المغايرة القائم على الآخر هو أساس للقانون الأخلاقي ، ولا يمكن للذات أن تتصف بالأخلاق من خلال طاعة قاعدة القانون الأخلاقي ؛ بل من خلال الآخر اللانهائي الذي يجعلها أن تكون أخلاقية لذلك فالفرق بين كانط وليفيناس هو أن هذا الأخير يعتقد أن حق الآخر ياتي قبل الذات ، وهذا يعني أن حق الآخر لا يعطي من خلال الذات ولا يُصاغ بالقانون الأخلاقي ؛ بل هو يسبق حق الذات نفسها . وبعبارة أخرى ، بالنسبة لليفيناس ، لا يمكن للمرء أن يصبح أخلاقياً في حد ذاته بل بتدخل الآخر وحده هو الذي يجعله أخلاقياً ، ويعطي ليفيناس نفسه مزيداً من الأدلة على تصوره للعلاقة بين الأخلاق والدين في تفسيره للعقيدة من خلال قصة التضحية بإسحاق التي استقاها من كتاب خوف ورعد

([113]) Emmanuel Levinas, Otherwise than Being, p. 56.
([114]) Emmanuel Levinas, Otherwise than Being, p.118

للفيلسوف الوجودي سورين كيركجورد([١١٥]) وقد أخذ على كيركجورد تحليله الذي قدم فيه إبراهيم كبطل للإيمان بقدرته على تجاوز الاخلاق من خلال الإلتزام الديني لله ، والتضحيه بابنه إسحاق وقد اختلف معه ليفيناس حول معنى الأمر الإلهي ، فهل يمكن للرب ان يأمر بشيء غير أخلاقي ؟ بالنسبة لكيركجور "هذه ليست القضية أن يأمر الله إبراهيم بقتل ابنه ، لأن الأمر لم يكن جريمة قتل ، ولكن تضحيه تلبية لأمر الله و بالتالي ، فإن الأمر لايبدو غير أخلاقياً " ([١١٦]) ويعلق ليفيناس على تفسير كيركجور لمعنى التضحية في مفهوم كيركجور بقوله " أنه بهذا التفسير قد صدم لأنه يبدو أنه يبرر العنف بدوافع دينيه "([١١٧]) وعلى النقيض فإن ليفيناس يرى " أن أعلى نقطه في الدراما هو انتباه إبراهيم إلى الصوت الذي أدى به مره أخرى إلى النظام الأخلاقي" ([١١٨]) لذا فالعثور على إيمان إبراهيم كما يرى ليفيناس ، ليس في استعداده لاتباع أوامر لا معنى لها من الله ، ولكن في قدرته على الاعتراف بمسؤوليته عن إسحاق ورفض قتله على الرغم من هذا الأمر، وكتب يقول في ذلك "بغض النظر عما يقول لنا الله أن نفعل ، يجب علينا أولاً وقبل كل شيء الرد على الشخص الآخر... للرد على إسحاق هو الرد علي الله " ([١١٩])

والآخر هنا متمثلاً في إسحاق من خلال قسمات وجهه وعينيه التي تتحدث بالقول لا تقتل ولذلك فما يؤكده ليفيناس دائماً أن الأمر الأخلاقي أقوى من الأوامر الإلهيه ولذلك بالنسبة لليفيناس "لا يوجد تمييز ممكن بين واجبنا تجاه الله وواجباتنا تجاه الأشخاص الآخرين، مما يجعل الفكرة القائلة بأن الله يمكن أن يقود العنف نحو الأبرياء الآخرين"([١٢٠]) ومن هنا اختلف ليفيناس عن كيركجور في كيفيه العلاقة التي تجمع بين الأنا و الآخر والله ، فقد رأى كيركجورد أن الله هو الوسيط بين الأنا والآخر، بينما ليفيناس رأى أنه من الأهمية إزالة مصطلح الله كمصطلح وسيط بين الأنا والآخر وبدلاً من ذلك ، يصبح الآخر هو الوسيط بين الإنا والله حيث يجب على المرء أن يرى اثر الله من خلال تحمل

([116]) Levinas's Concept of Religion and its Relation to Judaism http://ghansel.free.fr/smithjeru.html
([117]) Westphal, Merold. Levinas and Kierkegaard in Dialogue., p.77
([118]) Ibid, p.78
([119]) Emmanuel Levinas , Collected phillosohical papers ,p.119
([120]) Levinas ,,Concept of Religion and its Relation to Judaism http://ghansel.free.fr/smithjeru.html

المسؤلية تجاه الآخر، لذلك يرى ليفيناس أن التوحيد بالله لا يطالبنا " ان نتحد معه أو مع الطبيعة، ولكن يتمثل بالبر ، وحب الجار، .. لذلك فالعلاقة الميتافيزيقية تأتي من خلال السلوك الأخلاقي وليس اللاهوت" (١٢١)

فلسفة الحوار كأثر لتحقيق الهوية

يدعو ليفيناس من خلال البعد الأخلاقي والديني في فلسفته بأنه يجب أن لا ينظر إلى أي دين أخر باعتباره عدواً أو تهديداً للوجود ، وهذا من شأنه أن يُهدئ أي مخاوف أو قلق تجاه الأخرين ومن هنا ينادي ليفيناس بأنه " يجب أن نعتبر كل دين وجهاً آخر. لأن أتباعه هم أشخاص " (١٢٢) ويقصد بأننا لابد من التعامل مع أصحاب الديانات الأخرى على أنهم أشخاص مثلنا لا فرق بين ديننا ودينهم لأن التعامل ليس على أساس الدين ولكن التعامل يتم على أساس الوجه ، يقول ليفيناس " الوجه... يفتح وجهات نظر أخرى " (١٢٣) فالنظر للدين بهذا الشكل من شأنه أن ينهي الميل للأصولية والبعد عن التعصب والعنف ومن خلال هذه الطريقة لفهم الدين يعززموقفنا نحو الانفتاح والتعاطف نحو الآخرين ، مما يساعد الشخص على رؤية الاحتمالات و البدائل ليس فقط في دين الآخرين ولكن أيضا في رؤيته لكافة الأمور ، ولذلك يؤكد ليفيناس على الحوار و الانفتاح على الديانات الأخرى ،بحيث يفهم المرء عمق العالم الثقافي الذي يوجد فيه الآخر، وهو ما يجعله يرى من منظور أوسع لماذا يتصرف الشخص الآخر بشكل مختلف عن نفسه. ومن خلال ذلك ، سيتعلم احترام الآخر ، بل ويساعد على تعزيز حريه الآخر وكرامته ولذلك تتخذ الفلسفة على يد ليفيناس بعداً أخر من خلال فلسفة الحوار حيث لم يعد الاهتمام منحصراً في السؤال ولكنها اكتسبت أهميتها في الفترة الأخيرة من خلال الحوار لذلك يقول ليفيناس عن الفلسفة أن " جزءا عاجلا من مهمتها في عصرنا هو توضيح الطبيعة الحقيقية للحوار ،وليس في السؤال " (١٢٤)

---

(121) Emmanuel Levinas Totality and Infinity, p. 78.
(122)Ibid ,p. 40
(123) Ibid, p.40
(124) Emmanuel Levinas, *Of God Who Comes to Mind* , trans. Bettina Bergo (Stanford, California: Stanford University Press, 1998), p. 137.

وهنا يعترف ليفيناس بالحاجه الهائله إلى التفكير في معني ممارسة الحوار باعتباره " نتيجة للمحاكمات التي جرت في القرن العشرين منذ الحرب العالمية الاولى"([١٢٥]) ولا شك أن هذا يرتبط بشكل أو بأخر بما حدث في المحرقة التي جرت لليهود نتيجة البعد عن الحوار الأخلاقي وهو ما أعطى لفلسفة ليفيناس بعداً دينياً لمجموع تفكيره ولذلك يرفض ليفيناس إقامة الحوار بين الأديان على بعد معرفي لأنه سيؤدي إلى فشل الحوار بين الأديان وبالأخص إذا فسر بصوره رئيسيه على أنه لقاء معرفي حيث لا يبذل الجهد إلا لمعرفه وفهم دين الآخر. وهذا مرفوض لأن ذلك سيؤدي ، كما يقول ليفيناس ، " إلى الاختزال والهيمنة على الآخر " ([١٢٦]) وبالتالي " تكون علاقة الإنسان بالواقع الخارجي ، وعلاقتة بالآخر ، ..في النهاية مجردة وبعيدة عن الغيرية ، والتي تصبح من خلال معرفتي ، لا من خلال الآخر "([١٢٧]) لذلك يرفض ليفيناس المقاربة بين الأديان لأنها تختزل ديانة الأخر داخل الذات ولذلك يؤكد على ضرورة النظر للأديان المختلفة بنظرة خلقية لأن أتباعها كما قال شخص آخر .

ومن هنا يؤكد ليفيناس " بأننا قبل أن نلتقي بالشخص الآخر على صعيد المعرفة ، فإننا مثقلون بفعل المسؤولية والاحترام لدعم الآخر، فالمسؤولية عن الآخر تسبق فهم الآخر، لذلك يأتي اللقاء الأخلاقي أولاً قبل الحديث المعرفي . وفي المواجهة البدائية يمكن أن يحدث الحوار الحقيقي ويمضي قدماً " ([١٢٨]) لذا يؤكد ليفيناس أن حوار الأديان لا يتم من طرف واحد ولكنه يحدث عندما ننفتح و نتقبل الأخرين ولذلك يؤكد إنه يجب الحفاظ علي اليقظة والحذر إذا أريد ألا يسقط الحوار في العداء والعدوان ، ومن المهم احترام الاختلافات والاعتراف بالمشاكل المستعصية لتجنب العداء. وبدون الاعتراف والاحترام ، يمكن ان يصبح الحوار تخاصماً وعدائياً وبالتالي يولد العنف ومن أجل ذلك لا بد من وجود بعد أخلاقي في الشعور بالمسؤلية تجاه الآخرين لكي يتسنى إجراء حوار بين الأديان ، وكما يقول ليفيناس ، " المسؤولية هي الوحيدة التي يمكننا من خلالها الدخول في حوار

([125]) Ibid,p.137

([126]) Emmanuel Levinas, Entre Nous: Thinking-of-the-Other , trans. Michael B. Smith and Barbara Harshav ,New York: Columbia University Press, 1998, p.180.

([127]) Ibid ,p.185

([128]) Emmanuel Levinas, Outside the Subject , trans. Michael B. Smith ,Stanford, California, Stanford University Press, 1993, p. 17

مع الآخر والمسؤولية ، بالمعني المنطقي للمصطلح ، هي المقصودة بالحوار وليس مجرد تبادل الكلمات ، ، ولا يوجد اجتماع إلا في الحالة الأولى"(١٢٩) لذلك فلسفه الحوار كما يصيغها ليفيناس موجهه نحو مفهوم أخلاقي وليس عن طريق المعرفة والعقل مما يعيق طبيعة الحوار بين الذات والآخر ، ولذلك جاء الحوار عند ليفيناس عبارة عن " علاقة شخصيه غير متناظرة، بمعنى أن العلاقة هي غير متساوية بين الذات والآخر لأن الذات هي خادمة للآخر الذي يعتبر سيداً ،وكون الذات خادمة يعني أنها مدينة للسيد (الآخر) من حيث المسؤولية ، وعلاوة على ذلك ، فإن هذه المسؤولية لا حصر لها، وبالتالي لا يمكن سداد الدّيْن بالبالكامل"(١٣٠)، وبسبب المسؤلية تجاه الآخر يدعو ليفيناس دائما إلى وضع الذات مكان الآخر من أجل " كسر التباين في العلاقة الاخلاقيه ، لأن هذه المسؤولية تشكل ذاتية الذاتية"(١٣١) إذن فالحوار الأصيل يأتي من خلال هوية العلاقة التي بيننا ، بين الأنا والأخر. و يرجع ليفيناس الفضل في تأسيس هذا الفهم للحوار لأحد المفكرين اليهود وهو مارتن بوبر ، لعرضه فكره الحوار في العلاقات الذاتية ولاسيما ماذهب إليه بوبر من علاقة الأنا بالأنت ويستشهد بقول بوبر في ذلك "بما أن أنا الذي أقول أنت ..فبالتالي فإن النداء الذي وجهته إليك بأن تكون بالنسبة لي ، مؤسس على المعاملة بالمثل ، أي المساواة أو الانصاف منذ البداية" (١٣٢)

ولذلك يرى ليفيناس بأن المساهمة الرئيسية للبوبر في الفكر الغربي ستظل من خلال " تأكيده على عدم الانتقاص من علاقة الاجتماع بالآخرين ، وعدم قابليه أن تكون العلاقة في الاجتماع مع الآخرين قائمة على تحديد مسبق للأهداف التي قد تنشا نتيجة هذه العلاقة " (١٣٣) ولذلك يعتقد ليفيناس أن بوبر يعطينا معناً جديداً وبالتالي يجب أن تصبح كل مشاكل المعرفة محصورة " فيما يتعلق بحاله الاجتماع والحوار"(١٣٤) وبعبارة أخرى كما يقول ليفيناس " فإن الكون والحقيقة يفسران الآن على أنهما موضوعي

(129) Sean Hand ,Emmanuel Levinas, , The Levinas Reader ,Oxford, United Kingdom, Blackwell, 1989, p .17

(130) Ibid , p.18

(131) Ibid , p.18

(132) Ibid , p.17

(133) Ibid , p .15

(134) Ibid, p. 15

للتحاور" ([١٣٥]) وإذا كان بوبر يجعل من علاقة الأنا بالأنت علاقة تبادلية تحددها هوية ومعنى كلاً من أنا وأنت ، فإن ليفيناس لا يفهم الحوار علي انه علاقة متبادله. فلا يمكنني ان أطالب من الآخر علاقة بنفس المسؤولية التي تصدر مني ؛ فالمسؤوليه تقع أكبر على عاتقي . وهذه المسؤولية حصريه وغير قابله للتحويل تجاه الآخر كما لو أن جارتي اتصلت بي على وجه السرعة ودعتني أنا ولا أحد سواي ، كما لو كنت أنا الوحيد المعني ، ويصف ليفيناس هذه المسؤلية بأنها " مسؤوليه لا مبرر لها ... دون الحاجة إلى المعاملة بالمثل. ..على العكس من أنا–أنت ، ليس هناك مساواه أولية " ([١٣٦]) فالمساواة والمعاملة بالمثل بوصفها شرطاً وقاعدة للحوار تقلل من الحوار وتنقله إلى مجرد خطاب موضوعي. وعندما يتم تحديد قواعد وشروط صارمة للحوار ، يفشل الحوار عادة ، حيث تعكس هذه القواعد والشروط تحيز أحد الشركاء في الحوار، وحتى إذا كانت القواعد قد وضعها طرف غير الأطراف المشاركة في الحوار ، فإن هذا الأمر قد حُدد بالفعل ، بطريقه أو بأخرى النتيجة أو الغرض المتوقع تحقيقهما. إن ما يريده ليفيناس أن يصبح الحوار عفوياً دون تخطيط أو مقدمات مسبقة، ولا بد أن يكون بعيداً عن موضوعات التفكير أو أي أهداف ومعرفة مسبقة من شأنها أن تحدد طبيعة هذه العلاقة ، إنها علاقة أخلاقية محضة سابقة على أي حديث وقوامها مسؤليتي ، فعلاقتي للآخرين "ليست في الأصل في حديثي إلى الآخر ، ولكن في مسؤوليتي عنه أو له و هذه هي العلاقة الاخلاقيه الاصليه "([١٣٧]) ومن خلال ذلك نلاحظ تأثر ليفيناس بالفلسفة الوجودية من خلال خلق أخلاق وجودية تتحدث عن أخلاق الموجود من خلال علاقة غير تماثلية في لقاء الذات بالآخر، وهذا هو السبب الرئيسي لماذا الأخلاق في فلسفة ليفيناس ليست نظرية ؟ لأنها تتجاوز النظرية ولا تنطوي في المقام الأول على تطبيق لأي نظرية بل هي بث مباشرمن خلال تجربة حية معاشة بين طرفي المجتمع الأنا والآخر من خلال منظور ديني يعلو من هوية الآخر على الأنا في بُعد من الاختلاف والغيرية التي تمثل هوية الآخر التي تدور حولها فلسفة ليفيناس.

([135]) Ibid, p. 15
([136]) Emmanuel Levinas, Outside the Subject ,p.67
([137]) Ibid ,p.44

خاتمة :

بناءاً على ما سبق إذا أردنا فهم ليفيناس فلابد من وضعه داخل إطار فكره الديني لنتعرف على الأبعاد الحقيقية لفلسفته ولا سيما في عرضه لظهور الوجه كتعبير عن غيرية الآخر، لهذا طرح ليفيناس مفهوم المواجهة مع الآخر بشكل ميتافيزيقي غير أنطولوجي لتحويل مسار الفلسفة من الوجود إلى الموجود باعتباره الحل الحقيقي لكل مشكلة أخلاقية من خلال ما يسميه ليفيناس المواجهة وجهاً لوجه مع الآخر والتي تعطى إحساساً عميقاً بالمسئولية من خلال إدراك الذات لكيان متعين متفرد له وجه فريد ، فالوجه هو هوية الإنسان وبالنظر إليه نجده أكثر الدلالات التي تعبر عن الهوية الحقيقية للذات الإنسانية من ناحية ومن ناحية أخرى نجد أن الوجه هو أكثر التجارب أخلاقية كما يرى ليفيناس ، ذلك أن وجه الإنسان هو الجزء الأكثر تعري لديه فهو القادر على التكلم دون كلام من خلال قسماته المعبرة في نفس الوقت التي تجبرني على عدم ارتكاب الجريمة لأن الوجه كما يرى ليفيناس دلالة دون نص ، هذه الدلالة تشير إلى ضرورة اعتناء الإنسان بالأخلاق كشرط لحضور الله على نحو مبهم ووحده هذا الحضور هو الذي يمثل الشكل الأصيل للدين ، ومن هنا يحاول ليفيناس في علاقة جدلية للهوية والدين تخريج الذاتية الإنسانية وهويتها التي يراها تتمثل في علاقة الإنسان بالإنسان علاقة أصيلة من حيث أنها شرط انكشاف الحضور الإلهي ومن حيث أن الإلهي هو شرط ظهورها مستعيناً بوصايا الكتب المقدسة من ناحية وبالتعاليم المسيحية من ناحية أخرى في مناولة إتيقية انفرد بها دون غيره من الفلاسفة ، ولذلك جاء مشروعه مختلفاً عن الطريقة التي اعتادت أن تفكر من خلالها الفلسفة حيث يقدم ليفيناس في تجربة روحانية صورة عن ارتباط الهوّية بالأخلاق والأخلاق بالدين،حيث نجد أن التجربة الأخلاقية في الفلسفات الوجودية خاصة ، هي تجربة وجدانية وإن اختلفت طريقة التعبير عنها ، لكن فلسفة ليفيناس هي فلسفة " الآخر " والتي يرتكز عليها جل بحثه الفلسفي ،الآخر ليس بالمفهوم السلبي ، إنه تلك العلاقة المتبادلة بين الآخر و الأنا فالآخر قبل الأنا، و بذلك يأخذ مفهوم الآخر عنده مفهوم مطلق يتعالى عن كل مقدس، وبالرغم من ذلك إلا أننا نجد أنفسنا من خلال عرضه لدلالات الوجه كظهور للآخر أمام كادرمن المفكرين الذين حولوا المعتقدات الدينية بالانزلاق بها في تحليلات الظواهر،وهذا من شأنه يدخلنا للعديد من النتائج المستنبطة من خلال هذا البحث :

أولاً : اعتماد ليفيناس على الظواهرفي فلسفته لتحليل الهوية وربطها بالدين في نهاية الأمر جعل من فلسفته رهينة من قبل اللاهوت وبالتالي ينبغي اعتبار ليفيناس مفكر يهودي متشدد بدلا من الاقتصار على كونه فيلسوفاً فينومينولوجياً أو سجنه داخل أي شكل من اشكال الفلسفة النقدية ، ولذلك وعلى غرار جان لوك ماريون ، أستطيع القول أن ليفيناس حول المنهج الفينومينولوجي إلى منهج لاهوتي حيث استخدم الظاهرة كمصدر الهام وليس كاسلوب ، مما يجعلنا نحدد أن مشروع ليفيناس ليس له مكانة في الفلسفة الخالصة بل هو مشروع لاهوتي أساساً ، و ببساطه فإنه فلسفة مستندة على اللاهوت كما قال بعض فلاسفة العصر الوسيط بأن الفلسفة خادمة اللاهوت وبالتالي فالخط بين الهوية والاخلاق والدين عند ليفيناس يصبح أكثر من إشكاليه .

ثانياً: هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ،فإنه من المحال أن نصل لله عن طريق الآخر ونجد اللانهائي في وجهه كأثر لله لأن ذلك بطبيعته سيحول وجه الآخر إلى صنم ، لذا يجب أن ننظر للوجه بوصفه لغزاً وليس ظاهرة وبمنظور آخر يتضح أن أخلاق ليفيناس ليست مجرد نظرية أخلاقية أخرى ، لأنها تدعونا إلى أن ننظر بتعمق أكبر إلى معنى الأخلاق، وهو يذكرنا بمسؤوليتنا نحو الآخر التي قد نتناساها وسط مشاغلنا و أعتقد أن هذه المسؤلية لا يمكن إلا أن تكون دينية ، ذلك أن الأخلاق النظرية ، التي تعتمد عادة على مبدأي المساواة ، لن تكون قادرة على تقديم مثل هذا الطلب ، لذلك ورغم انكار ليفيناس بأن فلسفته لا بد فصلها عن إتجاهه اللاهوتي إلا إننا لا نستطيع تفسير نظريته الأخلاقيه والتي هي الركيزة الأساسية لمفهوم الهوية في فلسفته إلا من خلال تقاربها مع الدين ، لذلك أكد على أنه لا يمكن للدين نفسه ان يضع نفسه تحت رقابة الأخلاق، ولذلك إذا كانت الأخلاق عند ليفيناس هي الفلسفة الاولى ، فإنها قد تكون أيضا الدين الأول بمعني انها شرط لا بد منه للعلاقة مع الله .

ثالثاً : على الرغم من محاولة ليفيناس فتح باب المسؤلية والانفتاح في علاقة مع الآخرين مما سيكون له أثره الإيجابي على المجتمع إلا أنه يعطي الذات إحساس بالسلبية والتشاؤم بتصويره الأحادي للآخر فقط على أنه وحده الذي يعاني من القمع والإضطهاد مما يستدعي الأنا إلى المسؤولية ومن خلال هذه المسؤلية تتلاشى الذات

وتختفي من خلال الآخر المطلق إن جاز لي التعبير وبالتالي يحدث إرتداد فبدلا من الحفاظ على وسطية في العلاقة بين الأنا والآخر كطرفي للمجتمع يحدث تعالي للآخر و إنصهار الأنا فيه وهي نفس الإشكالية ولكن بشكل معكوس التي إنطلق منها ليفيناس ، إن مايدعو له ليفيناس هو أمر بعيد عن الواقع الفعلي المعاش فقبل أن يكون البشر قادرين على مسؤلياتهم تجاه الآخرين لابد أن يعتنوا أولاً بمسؤلياتهم تجاه ذواتهم أولاً وبالتالي يشعرون بواجباتهم نحو الآخرين فيستشرفون تلك المسؤليات التي يتوقف عليها مصير البشرية ، وبهذا المعنى يضعون أنفسهم في علاقة مسؤلية عن أنفسهم وعن الآخرين.

رابعاً : على الرغم من التلميحات العنصرية التي تنبثق من آن لآخر في فلسفة ليفيناس لصالح الشعب اليهودي ولا سيما في وصفه للجار كرمز لهذا الشعب إلا أننا نلاحظ من خلال فلسفته أنها بمثابه دعوة للأديان للإهتمام العميق بالبعد الأخلاقي في خطاباتها وتعليمها وممارستها وتنظيمها للحياه المعاشة ولذلك رفض ليفيناس المقاربة بين الأديان لأنها تختزل ديانة الآخر داخل الذات لذا يؤكد على الأخلاق للأديان الأخرى لأن أتباعها – كما قال ليفيناس– شخص آخر ، وبالتالي سيؤدي الانفتاح على هذه الديانات من خلال المنظورالأخلاقي الإتيقي الذي نادى به ليفيناس إلى احترام هوية الآخر الدينية ، ومساعدته على تعزيز حريته وكرامته مما يكون له أعظم الأثر في الحد من حركات العنف السائدة في المجتمعات المعاصرة والتي غالباً ما تكون ناشئة عن الاختلافات الدينية ، ومن هنا نستطيع القول أن فلسفة ليفيناس ، فلسفة تهتم بحقوق الإنسان من خلال النزعة الإنسانية من الآخر بدلاً من النزعة الإنسانية من الأول على حد تعبيره .

خامساً : جاءت فلسفة ليفيناس مواكبة لمتطلبات العصر الحالي من التأكيد على ضرورة تجديد الخطاب الديني وذلك عن طريق عدم الجمود في تفسير النصوص المقدسة وعدم الجمود في قراءتها مشيراً إلى تعديل في الخطاب الديني المسيحي واليهودي حتى لا يجمد على التفسيرات الأصولية القديمة ، ومن هذا المنطلق لعدم الجمود دعا إلى أن يكون الحوار بين الأديان لا يتم من طرف واحد ولكنه يحدث عندما ننفتح و نتقبل الآخرين ونحترم اختلافهم وغيريتهم ولذلك أكد بوجوب اليقظة والحذر إذا أريد

ألا يسقط الحوار في العداء والعدوان وأن لا نتحاور من طرف واحد ومنظور أحادي الجانب للتفكير المتعصب وهذا ما تنادي به مجتماعتنا المعاصرة .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر الأجنبية

1- **Emmanuel Levinas, Totality and Infinity, An Essay on Infinity , trans. Alphonso Lingis Pittsburgh: Duquesne University Press, 1969**
2- **Emmanuel Levinas, Ethics and Infinity , Conversations with Philippe Nemo, hereafter EaI, trans. Richard A. Cohen ,Pittsburgh: Duquesne University Press1982**
3- **Emmanuel Levinas, Time anti the Other, translated by Richard A. Cohen, pittsburgh: Duquesne University Press, 1987,**
4- **Emmanuel Levinas** : ***Difficult Freedom: Essays on Judaism.***
, Translated by Sean Hand, Johns Hopkins Jewish Studies. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1990,
5- **Emmanuel Levinas, The Strings and the Viola in Outside the Subject, trans. Michael B. Smith, (Stanford: Stanford University Press, 1993**
6- **Emmanuel Levinas, Outside the Subject , trans. Michael B. Smith ,Stanford, California, Stanford University Press, 1993**
7- **Levinas,Transcendence, and,Height,Basic philosophical writings Bloomington, Indiana University Press. 1996**
8- **Emmanuel Levinas, Collected Philosophical Papers,Trans.Alphonso Lingis Pittsburgh,pa: Duquesne University Press,, 1998**
9- **Emmanuel Levinas,, Alterity and Transcendence , trans. Michael B. Smith ,New York, Columbia University Press, 1999**
10- **Emmanuel Levinas, Of God Who Comes to Mind, translated by Bettina Bergo ,Stanford, CA, Stanford University Press, 2005**
11- **Emmanuel Levinas, Humanism of the Other, trans. Nidra Poller Urbana and Chicag, University of Illinois Press, 2006**

ثانياً : المراجع الأجنبية :

1- **Claire Elise Katz, "Lévinas—Between Philosophy and Rhetoric: The 'Teaching of Lévinas's Scriptural References," Philosophy and Rhetoric, 2005**

2- Richard Kearney , Emmanuel Levinas, Ethics of the Infinite in Debates in Continental Philosophy, Conversations with Contemporary Thinkers, New York: Fordham University Press, 2004
3- Sean Hand ,Emmanuel Levinas, The Levinas Reader (Oxford, United Kingdom: Blackwell, 1989
4- Westphal, Merold. Levinas and Kierkegaard in Dialogue. Bloomington and Indianapolis: Indiana University Press, 2008

ثالثاً : الدوريات الأجنبية :

1- God and Philosophy." *Philosophy Today* 22, no. 2 ,1978

رابعاً : مواقع الانترنت الأجنبية :

1- Levinas and the Philosophy of Religion
http://onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1111/j.1747-9991.2010.00342.x/full
2- Levinas Concept of Religion and its Relationto Judaism http://ghansel.free.fr/smithjeru.html

خامساً : المصادر العربية :

١- إيما نويل ليفيناس :الزمان والإخر، ترجمة جلال بدلة ،معابر للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، سوريا ، ٢٠١٤

٢- سادساً : المراجع العربية :

١- إدريس كثير ، عز الدين الخطابي : مدخل إلى فلسفة ليفيناس (من الفينومينولوجيا) ، منشورات إختلاف ، الطبيعة الأولى ،٢٠٠٣

٢- أرسطو: السياسة، ترجمة أحمد لطفي السيد، القاهرة، ١٩٦٠

٣- جون ليشته، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، ترجمة فاتن البستاني، المنظمة العربية للترجمة،بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٨.

٤- حسن حنفي : الهوية ،المجلس الأعلى للثقافة ،٢٠١٢، ص١٠ :جويل هنسل ، ليفيناس من الوجود إلى الغير ، ترجمةعلى بورملحم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان ، ٢٠٠٠

٥- عبد الوهاب المسيري : الموسوعة اليهودية ، المجلد الخامس ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، القاهرة ،١٩٩٩

٦- سالم يقوت: مفهوم الإختلاف، مجلة مدا ارت فلسفية ، العدد٣ ، فبراير ٢٠٠٠

٧- فيلهو هارلي وآخرون: صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، تعريب: الطاهر لبيب ، مركز دراسات الوحدة العربية

٨- مارتن هيدجر : الكينونة والزمان ، ترجمة فتحي المسكيني ، دار الكتب الجديدة ، الطبعة الأولى ، ليبيا ،٢٠١٢

٩- مصطفى كمال فرحات : الكينونة في ما بين ليفيناس وهيدجرأو حرب الإتيقا ضد الأنطولوجيا حوليات الفينومينولوجيا ، مجلة البحث الفينومينولوجية التأويلية بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية، ظروف ، تونس المجلد ١ منشو ارت دار المعلمين العليا ودار السحر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦

سابعاً: المعاجم العربية :

١- جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، الحزء الثاني ، دار الكتب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، بيروت ، لبنان ،١٩٧٨

٢- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية ،ترجمة خليل احمد خليل،المجلد الأول، ط٢ ،منشو ارت عويدات، بيروت، ،٢٠٠١

ثامناً : الدوريات العربية :

١- مجلة أوراق فلسفية ، العدد ١٧ ، ٢٠٠٧عدد عن إيمانويل ليفيناس وعاد طاهر

٢- مجلة الفكر العربي المعاصر،عدد ١١٤-١١٥، مركز الإنماء القومي، الكويت ، ألكسندر كوجاييف: جدلية السيد والعبد من " المدخل إلى قراءة هيجل ، ترجمة وفاء شعبان